مجلة تكريت للعلوم السياسية

اسم المقال: الوعي الذاتي في الفكر السياسي الليبرالي الحديث (جون لوك، ايمانوئيل كانط انموذجاً)
اسم الكاتب: م. وليد مساهر حمد، أ.م.د. عبير سهام مهدي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/7829
تاريخ الاسترداد: 2026/06/08 19:13 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة تكريت للعلوم السياسية جامعة تكريت ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

: https://doi.org/10.25130/tjfps.v4i30.95

TJFPS

ISSUE 30

IRAQI Academic Scientific Journals

العراقية المجلات الاكاديمية العلمية

ISSN: 2663-9203 (Electronic)
ISSN: 2312-6639 (print)

Contents lists available at:
http://tjfps.tu.edu.iq/index.php/poiltic

Tikrit Journal For Political Science

Tikrit Journal For Political Science SINCE 2014

الوعي الذاتي في الفكر السياسي الليبرالي الحديث (جون لوك، ايمانوئيل كانط انموذجاً).

" Self- conscious in modern liberal political thought (John Locke, Immanuel Kant as a model) "

. Walid Mosaher Hamad [a]
. Abeer Siham Mahdi [b]
[a] Tikrit University / College of Political Science
[b] Baghdad University / College of Political Science

م. وليد مساهر حمد [a] *
أ.م.د عبير سهام مهدي [b]
جامعة تكريت/ كلية العلوم السياسية [a]
جامعة بغداد/ كلية العلوم السياسية [b]

Article info.

Article history:
- Received:22\09\2022
- Accepted: 12\11\2022
- Available online :31\12\2022

Keywords:
- self -conscious
- modern political thought
- liberal thought
- -John Locke
- Immanuel Kant.

©2022. THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

Abstract: self -conscious And knowledge has emerged as important in modern liberal political thought and came in order to call for the importance of awareness in the essence of the individual, as it was mentioned by most of the leading critics, most notably John Locke and Emmanuel Kant. And there are no innate ideas in it, but at the same time it confirms the existence of an innate power in the mind and not ideas that can transform simple ideas into a vehicle that produces ideas, knowledge and awareness, through which the mind begins in a negative way to receive these external impressions in the mind and contemplate them in the form of simple ideas, either practical Acquisition of self -conscious in Kant was formed through his attempt to combine rationalists and empiricists, as he worked to link experience with the mind through the presence of pre-experienced subjective categories, perceptions and conditions that exist in the mind, which can be called innate ideas found in the pure mind and others that come from the senses by their interaction with external things. self -conscious according to Kant is a process that takes place entirely within the self on a substance that comes from without, which is the sensory data of phenomena, which constitute the external substance of things in themselves.

*Corresponding Author: Lecture . Walid Mosaher Hamad & Assist.Prof. Dr. Abeer Siham Mahdi , , Email: waleed.iq@tu.edu.iq ,Tel: xxx, Affiliation : Tikrit University / College of Political Science / University of Baghdad / College of Political Science

The two images of space and time and the categories of understanding are self-perceptions that exist in the mind in an a priori way, and then he started applying them to what I consider to be the appearance of things.

معلومات البحث:

تواريخ البحث:

الاستلام: 22\9\2022

القبول:12\11\2022

النشر :31\12\2022

الكلمات المفتاحية:

- **الوعي الذاتي**
- **الفكر السياسي الحديث**
- **الفكر الليبرالي**
- **جون لوك**
- **ايمانويل كانط**

الخلاصة: بعد انهيار الإقطاع في أوربا ونمو سوق حر ظهرت الأفكار الليبرالية، التي رفضت الامتيازات الاقطاعية، والحكم المطلق، وطالبت بحكومة دستورية وتمثيلية، وبحلول القرن التاسع عشر مجدت سياسة عدم التدخل الرأسمالية، ورفضت كل أشكال التدخل الاقتصادي والاجتماعي وسميت بالليبرالية التقليدية، وفي نهاية القرن التاسع عشر نشأة الليبرالية الحديثة، التي تميل إلى إصلاح الرعاية الاجتماعية والإدارة الاقتصادية، وتسمى ايضاً الليبرالية الاجتماعية

تؤمن الليبرالية بالأهمية العليا للفرد البشري، ودعم الحرية الفردية، ومن وجهة ليبرالية، لأنها تعد الأفراد كائنات عقلانية تتمتع بأكبر قدر من الحرية، التي تتماثل مع حرية المواطنين الآخرين، وأكدت الليبرالية التقليدية على تقييد دور الدولة وعدم التدخل في شؤون المواطنين، وجعل وظيفتها الحفاظ على الأمن الشخصي والنظام الداخلي، ويعدون الافراد أشخاصاً أنانيون ويتمتعون بالاكتفاء الذاتي، و أن الافراد مسؤولين عن حياتهم وظروفهم، وخلق مجتمع يكون الحكم فيه لصاحب الموهبة و الجدارة، وتمجد مزايا السوق المنتظم ذاتياً، فالحرية عندهم هي غياب القيود الخارجية التي تفرض على الفرد إذ يكون تدخل الدولة غير ضروري.

المقدمة:

بعد انهيار الإقطاع في أوربا ونمو سوق حر ظهرت الأفكار الليبرالية، التي رفضت الامتيازات الاقطاعية، والحكم المطلق، وطالبت بحكومة دستورية وتمثيلية، وبحلول القرن التاسع عشر مجدت سياسة عدم التدخل الرأسمالية، ورفضت كل أشكال التدخل الاقتصادي والاجتماعي وسميت بالليبرالية التقليدية، وفي نهاية القرن التاسع عشر نشأة الليبرالية الحديثة، التي تميل إلى إصلاح الرعاية الاجتماعية والإدارة الاقتصادية، وتسمى ايضاً الليبرالية الاجتماعية

تؤمن الليبرالية بالأهمية العليا للفرد البشري، ودعم الحرية الفردية، ومن وجهة ليبرالية، لأنها تعد الأفراد كائنات عقلانية تتمتع بأكبر قدر من الحرية، التي تتماثل مع حرية المواطنين الآخرين، وأكدت الليبرالية التقليدية على تقييد دور الدولة وعدم التدخل في شؤون المواطنين، وجعل وظيفتها الحفاظ على الأمن الشخصي والنظام الداخلي، ويعدون الافراد أشخاصاً أنانيون ويتمتعون بالاكتفاء الذاتي، و أن الافراد مسؤولين عن حياتهم وظروفهم، وخلق مجتمع يكون الحكم فيه لصاحب الموهبة و الجدارة، وتمجد مزايا السوق المنتظم ذاتياً، فالحرية عندهم هي غياب القيود الخارجية التي تفرض على الفرد إذ يكون تدخل الدولة غير ضروري.

إلاَّ أنَّ الليبرالية الحديثة، أعطت دور اكبر من ذي قبل لتدخل الدولة في حماية وضمان حرية المواطنين اتجاه الشركات العالمية وتقلبات السوق التي اتعبت كاهل الفرد، فأن الليبراليين الجدد ربطوا الحرية بالتطور الشخصي والتحقق الذاتي، وقد انتج ذلك تداخلاً بين الديمقراطية الاجتماعية والليبرالية الحديثة، وبما أن الليبرالية كانت منتشرة بشكل واسع في أوربا والعالم، واثرت على نطاق واسع على العديد من المفكرين عن طريق الأفكار التي جاءت بها لدعم الحرية الفردية وتقديم المصلحة الخاصة على العامة وغيرها من الأفكار، الا اننا اخذنا من هذه الأفكار جزئية الوعي الذاتي وتبلوره وتكوينه ومفهومة في الفكر السياسي الغربي ودورة في انشاء الدولة، وبالرغم من كثرة المفكرين الذين تناولوا مسألة الوعي الذاتي الا اننا اقتصرناها على اختيار نماذج مختارة كان لها الأثر الواضع على عموم الفكر الليبرالي في اوروبا وفي كلا العصرين الحديث والمعاصر.

أهمية البحث :

تتشكل الأهمية سواء من جانب نظري او تطبيقي في البحث حول تكوين الوعي الذاتي في الفكر السياسي الليبرالي الحديث من خلال بيان اهم الأفكار حول نظرية الوعي في مدراس ومفكري التوجه الليبرالي وصولاً الى فهم فكر وجوهر الوعي لكل من نماذج الليبرالية الحديثة عند جون لوك و ايمانويل كانط .

إشكالية البحث : تقوم إشكالية الدراسة على وضع التساؤل الرئيسي والانتقال لأسئلة فرعية حيث توضع تساؤل حول ما هو الوعي الذاتي في الفكر السياسي الليبرالي الحديث ؟ وماهي اليات اكتسابه؟ وكيف اثر على المجتمعات الغربية؟ وما هو حجم هذا التأثير؟ وما هو دورة اتجاه الدولة وقيامها؟

فرضية البحث :

يفترض البحث ان الوعي الذاتي قد تأثر بكثير من التحولات في فلسفة وتطبيق فكرة الوعي الذاتي نفسه وهذه الانتقالات ساهمت في فسح المجال تجاه الفكر السياسي الليبرالي الحديث الى انشاء تصورات بأفكار جون لوك وايمانويل كانط في تفسيرهم الخاص لموضوع الوعي وقيام دولة نابعة من الإردات الذاتية الواعية للأفراد وليس مفروضة عليهم.

منهجية البحث :اعتمد البحث على المنهج الوصفي من اجل بيان موضوع الوعي الذاتي في الفكر السياسي الليبرالي الحديث وتشخيص اوصافه عند النماذج المختارة للمفكرين الليبراليين جون لوك وايمانويل كانط في تفسيرهم الخاص بنهج الوعي الذاتي .

هيكلية البحث :يتكون البحث من مقدمة ومطلبين وخاتمة، حيث يتناول المطلب الأول الوعي الذاتي عند جون لوك، اما المطلب الثاني درس الوعي الذاتي عند ايمانويل كانط .

سنتطرق في هذا البحث على أهم الأفكار التي تتعلق بمسألة الوعي الذاتي في الفكر الليبرالي الحديث عند (جون لوك[*])، والذي يعد من أكثر المفكرين تأثيراً في الفكر السياسي الغربي من خلال تأكيده على الحرية الفردية والملكية الخاصة، ودور الوعي الذاتي في المجتمع واختيار النظام السياسي وتوضيح أسسه ونشأته وتكوينه وتطوره في عقلية الفرد والوصول إلى المعرفة، ومن ثم الانتقال في مطلب ثاني لندرس أفكار(ايمانوئيل كانط[**]) فيما يتعلق بمسألة الوعي الذاتي وتطوره وتطابق الذات والموضوع والوصول إلى المعرفة واختيار النظام السياسي الذي يخدم الإرادات الذاتية الواعية للأفراد.

المطلب الأول: الوعي الذاتي عند جون لوك

نتناول في هذا المطلب كيفية تكوين الوعي الذاتي عند لوك وعملية الحصول على المعرفة للأفراد وطريقة اكتسابها والمطابقة بين الذات الإنسانية والموجودات الخارجية للوصول إلى الحقيقة الذاتية الواعية، ودورها في إيجاد الأشياء الخارجية ومن ضمنها تأسيس أو إيجاد دولة على وفق إرادات الأفراد الذاتية الواعية وسنعرضها وفق الترتيب الآتي:

(*) **جون لوك (1632 –1704)** : فيلسوف وطبيب ورجل سياسي انكليزي, ولد في راينتون في دوقية سومر ستشير الواقعة جنوب غربي انكلترا من عائلة بروتستانتية ذات اصول متواضعة, الف لوك عدة كتب ضمنها فلسفته العامة وأفكاره السياسية, من هذه المؤلفات: "رسائل حول التسامح" ظهر عام 1689 وكتاب "بحث في الحكومة المدنية" عام 1690 و "بحث في ملكة الفهم البشري" عام 1690 و "المسيحية المتعلقة" ، للمزيد من المعلومات ينظر : عبد الوهاب الكيالي و آخرون، **موسوعة السياسة**، ج5، ط1 ،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1974)، ص508–509.

(**)**ايمانوئيل كانط (1724–1770)**: فيلسوف الماني ولد بكونجسبرج، وكان ابوه سروجيا، تلقى تعليمه بإحدى المدارس الثانوية، ثم بجامعاتها التي قام التدريس فيها، فقد كان محاضرا اولا،ثم استاذا بعد ذلك لأعوام عدة، وقد درس في اثناء طلبة للعلم الرياضة والطبيعة إلى جانب الفلسفة، أثر في تفكيرة تياران رئيسيان من تيارات الفلسفة الاوربية: احدهما التيار او النزعة العقلية، والاخر التيار او النزعة التجريبية، من اهم كتبة (نقد العقل الخالص 1781) و (نقد العقل العلمي) و (ونقد ملكة الحكم)، و (نحو سلام دائم) المؤلف الوحيد الذي يحمل طابعا سياسيا، للمزيد من المعلومات ينظر : جوناثان ري و وج .او .ارمسون، **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، ترجمة: فؤاد كامل واخرون، (بغداد: منشورات مكتبة النهضة، 1983)، ص329.

أولاً: أسس تكوين الوعي والمعرفة عند لوك:

تنطلق فكره الوعي عند لوك بأنَّ الذات هي ذلك الشيء الذي يفكر فيه الوعي، (مهما كانت المادة المكونة روحية أو مادية، بسيطة أو مركبة) التي هي واعية للمتعة والألم، قادرة على السعادة أو البؤس، يؤكّد لوك أنَّ المادة التي نفكر فيها تنتج النطاق الكامل للظواهر الواعية، لقد عامل لوك الوعي كنوع من الانعكاس داخل العقل أو النتاج الإيجابي للعقل أو الإدراك العقلي للظواهر الخارجية وإنتاجها، أي: عندما يدرك المرء شيء فأنه واع، ويؤكد إن الوعي لا ينفصل عن التفكير، وكما يبدو عندما نرى، نسمع، نشم، نتأمل أو نرغب في أي شيء نعلم أننا نفعل ذلك، وبالتالي فإن الأمر يتعلق دائمًا بإحساسنا وإدراكنا الحاليين، بالنسبة للوك، كونك واعياً يدل على وعي فوري هو جزء لا يتجزأ من جميع أفعال التفكير على هذا النحو ووفقًا له، فإن العقل يرتبط بنفسه بمعنى أنه يراقب عملياته وينتج أفكارًا عنها، بعبارة أخرى أن الوعي هو وجود العقل لذاته[1].

لذا يعد لوك من أوائل المفكرين في العصر الحديث الذي تبلورت لديه مشكلة المعرفة والوعي عبر سؤاله من أين تأتي المعرفة الواعية؟ وكيفُ يحصِّلها العقل؟ [2] ، يؤكد لوك بأن الوعي هو ما يدركه الإنسان لما يدور في ذهنه، أي: وصف ما يحدث في العقل وقت الحصول على المعرفة، أي معرفة الطريقة التي يصل بها العقل إلى أفكاره [3]، وإنَّ كل شيء هو موضوع للذهن حين يفكر الإنسان فيه وعلى تعيين الصورة الوهمية أو أي شيء يمكن أن يستخدمه العقل في التفكير [4]، وتستمد الأفكار من مصدرين، أولهما: الإحساس والثاني الإدراك أو تأمل عمل ذهننا، أي: الوعي الذي يمكن تسميتهُ الإحساس الباطن، وما دمنا لا نستطيع أن نفكر إلا بواسطة الأفكار، وما دامت الافكار لا تأتي إلاَّ عن التجربة، فلا شيء من معرفتنا يمكن أن يسبق التجربة[5] ، وسوف نعرضها بشيء من التفصيل فيما بعد.

ثانياً: رفض الأفكار الفطرية وانواعه:

---

(1) William Uzgalis, **Some issues in Locke's Philosophy of Mind**, (New York: The Stanford Encyclopedia of Philosophy , 2018),p.10.

(2) احمد امين وزكي نجيب محمود، نصدر سبق ذكره، ص 18.

(3) المصدر نفسه، ص 202.

(4) John LocK, **An Essay Goncering Human Understanding**,(New York: prees The State University,1999),P.27.

(5) برتراند رسل، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ترجمة : محمد فتحي الشنيطي، ج3،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2011)، ص 157.

يرفض لوك وجود أفكار فطرية في العقل البشري، ويقسمها إلى نوعين للرد عليهما وتفنيدهما معاً[1]:

1- المبادئ النظرية: وتشمل المبادئ المنطقية التي تكون واضحة بذاتها، ولا تحتاج الى برهان مثل قانون التناقض والذي ينص على أنَّ الشيء (يكون أو لا يكون)، إذ أكّد المفكرون العقلانيون بأن هذه الأفكار ليست معروفة عند جميع الناس؛ لأن البلهاء والأطفال لا يعرفونها، ويفندها لوك بأن هذا الشيء متناقضاً عندما يكون هناك شيء مطبوع في العقل وفي نفس الوقت غير مدرك، فوجود حقائق في العقل لا بد وأن يدركها ويكون واعياً بها، وبما أنَّ هؤلاء لا يدركونها، إذن هذه الأفكار ليست فطرية.

2- المبادئ العملية: وتشمل الأخلاق والدين والضمير وغيرها، فالأخلاق ليس محل إجماع الناس، والدين أيضاً يختلف من شعب إلى آخر، بدليل أنَّ هناك شعوباً ليس لديها فكرة عن وجود الله، فلو كان ما يؤكد عليه أصحاب المذهب العقلي صحيحاً لكان الله تعالى قد أعطى فكرة عن ذاته ووضعها في العقل البشري كفكرة فطرية.

التجربة هي المصدر الوحيد للأفكار والمعلومات التي نمتلكها عند لوك، والعقل منذ البداية لوحه بيضاء خالية من كل فكر، وعن طريق التجربة نحصل على الأفكار، وللتجربة مصدران: الإدراك الذاتي الداخلي، والإدراكات الحسية الخارجية، الذي يرتبط بفعل التفكير والإرادة، أمَّا التصورات الناشئة عن هذين المصدرين فهي إمَّا بسيطة وإمَّا مركبة، فنحصل على كل مواد التفكير من التجربة، ففي التجربة تقوم كل معارفنا، وهذا لا يعني أنَّ العقل ليس لديه قابلية إيجابية بوجود قوة فطرية (وليست أفكار فطرية)، في العقل من خلالها يستطيع أن يقوم بعمليات: التركيب أو الجمع والمقارنة أو الإضافة والربط أو التجريد[2].

ثالثاً: تكوين الأفكار والوعي عند لوك:

للأفكار دور مهم في فهم لوك؛ لأنها المادة الأولية التي تنتج عنها المعرفة الواعية[3] ؛ لذا فقد استبعد الأفكار الفطرية وأكّد بأننا لا ندرك من الأفكار الصحيحة إلاّ ما يقع منها في تجاربنا[4]، ولأن العقل لا يفكر إلاَّ بما حصل عليه من الإحساس، فلا يمكن أنَّ نتصور الأفكار قبل ارتباط العقل بالحس[5] .

يؤكّد لوك أن كل ما تحوي عقولنا من أفكار تنشأ من مصدرين هما: أولاً الإحساس، أي: إدراك الموضوعات الخارجية عن طريق الحواس، والغالبية العظمى من أفكارنا نحصل عليها عن طريق تأثر حواسنا

---

(1) احمد ناظم داود، نظرية المعرفة عند لوك، **مجلة آداب الفراهيدي**، كلية الآداب، جامعة تكريت، العدد5، بغداد :2010)، ص316-317.

(2) بيتر كونزمان واخرون، **اطلس الفلسفة**، ترجمة: جورج كتورة، ط2،(بيروت: المكتبة الشرقية،2007)، ص119.

(3) اميل برييه، **تاريخ الفلسفة**، ترجمة جورج طرابيشي،ج4، ط2، (بيروت: دار الطليعة،1993)، ص333.

(4) هنري تومسن و دانا لي تومسن، **تراجم حية لإعلام الفلسفة الغربية**، ترجمة: محمد بدران وعثمان نويه، د ط، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1955)، ص168.

(5) John Lock, Op.Cit., P.91.

بالموضوعات أو الموجودات الخارجية، أي: الموجودة في خارج العقل، مثل فكرتنا عن اللون مثل(الأبيض والأحمر)، أي يزودنا الإحساس بالصفات المحسوسة وبذلك تكون لدينا فكره عنها[1].

وبعد الشعور أو رؤية الأشياء الخارجية تؤثر هذه الأشياء على حواسنا فينتقل إلى مراكز الإحساس في المخ ومن ثم تنتج أفكاراً واعية في عقولنا مستمدة من الصفات الحسية الموجودة في الجسم الخارجي مثل لونه وحجمه وطعمة وغير ذلك من الأمور، ويمكن إجمال رؤية لوك من الخبرة الحسية هي (وجود شيء مادي جزئي محسوس، ثم إدراكه بواسطة حاسة إنسانية، ثم ترجمته عن طريق مراكز الاحساسات في المخ في ضوء صفاته الحسية كاللون والطعم وغيرها، ثم تكون فكرة في المخ (الذهن) عن هذا الشيء[2].

وثانيهما الفكر أو التأمل أو الاستبطان، أي: إدراك العقل لعملياته الخاصة، إذ يؤدي إلى تكوين أفكار مثل: التفكير والادراك والاعتقاد والشك والاستدلال والإرادة والمعرفة وجميع أعمال العقل الأخرى، أي: تأمل العقل بوعي في الأفكار التي يحصل عليها عن طريق الحواس ويؤدي ذلك إلى تكوين أفكار ناتجة عن تأمل العقل لعملياته الخاصة[3]، فمثلا عندما نرى تفاحة حمراء ونُقِرّ بأن لونها أحمر، فنحن نكون قد قمنا بعملية تأمل واستبطان داخلي لهذا اللون الأحمر ولذلك يصبح الإدراك الحسي باعتباره حصيلة عقلية وفكرة من أفكار التأمل والاستبطان[4].

يؤكّد لوك أنّ وجود الأنا الذاتية (النفس) هي مجموع أفكار بسيطة تدرك بالفكر، وهذا الفكر هو الأنا المدرك لأفعاله، أي: أنّ الوعي الذّاتي ينبثق من الذّاكرة وهو أساس وجود الأنا الذاتيّة للأشخاص، وهي حصيلة العقل الباطن، أو التّجربة الدّاخلية؛ لهذا فإنّها تعد أفكاراً ثانوية بالنّسبة لأفكارنا عن الموضوعات الخارجيّة[5] ، إذ تصبح الحقيقة هي ما يكونه الفرد بعقله، فكل ذات مستقلة بنفسها، كأنما أصبح الإنسان مقياس الحقيقة كلها، وعالم الأشياء لا يتصل بعالم الإنسان الداخلي إلاّ بما يكوّنهُ عنها من أفكار بقوتي الحسّ والفكر[6] ، فالأفكار التي نحصل عليها من هذين المصدرين، هي الأفكار البسيطة التي نحصل عليها عن طريق الحواس بصورة بسيطة وغير ممتزجة مع غيرها والتي لا تتكون إلاَّ من فكرة واحدة، أي: لا يمكن

---

[1] احمد ناظم داود، مصدر سبق ذكره، ص318-319.

[2] راوية عبد المنعم عباس، **جون لوك ام الفلسفة التجريبية**، ط1 ،(بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1996)، ص39-40.

[3] احمد ناظم داود، مصدر سبق ذكره، ص318-319.

[4] راوية عبد المنعم عباس، مصدر سبق ذكره، ص41.

[5] بشار مالك سليمان، "فلسفة جون لوك وابعادها التربوية: دراسة وصفية تحليلية"، **رسالة ماجستير (غير منشورة)**، كلية التربية، جامعة دمشق، دمشق،2015، ص53.

[6] احمد امين وزكي نجيب محمود، مصدر سبق ذكره، ص212.

تحليلها إلى ما هو أبسط منها[1]، إذ يكون العقل سلبياً متلقياً وغير فعَّال ولا يكون له دور في إيجادها، وتعدُّ هذه الأفكار البسيطة المواد الأولية للمعرفة [2] ، ويقسمها حسب طريقة الحصول عليها [3] :

1- أفكار نستمدها بحاسة واحدة، مثل الذوق، الصوت، اللون.

2- أفكار نستمدها من خلال عده حواس، مثل الصلابة التي يشترك فيها البصر واللمس.

3- أفكار نستمدها بالتأمل (عمل الوعي الداخلي)، مثل الإرادة والتفكير.

4- أفكار نستمدها بالتأمل والإحساس معاً تكون علاقات الذهن بهذه التصورات البسيطة، مثل الألم واللذة والقوة.

عند تراكم هذه الأفكار في العقل يبدأ دوره الإيجابي، أي: العمل من خلالها، إذ يستخدمها بصفة موادّ أولية لإيجاد أفكار جديدة يسميها الأفكار المركبة، التي يكونها العقل بوعي، فالعقل في الأفكار البسيطة كان سلبياً، أمَّا في الأفكار المركبة فالعقل إيجابي واعٍ وفعال ويربط الأفكار في أشكال مختلفة فيؤلف أفكاراً مركبة[4]، فالإنسان يستطيع تكوين فكرة جديدة من فكرتين أو أكثر من الأفكار البسيطة، وللتوضيح أكثر فمثلا حينما نقوم بجمع الأفكار البسيطة في العقل البياض والحلاوة والصلابة فإننا سوف نحصل على فكرة مركبة عن قطعة السكر بوصفها فكرة واحدة وأسم واحد يدل على شيء مركب[5] .

أمَّا الأفكار المركبة في العقل الواعي فيستخدم لها ثلاث طرائق[6]:

1-التركيب أو الجمع: أي جمع فكرتين بسيطتين أو اكثر في فكرة مركبة واحدة.

2-الإضافة أو المقارنة: من خلال المقارنة بين فكرتين دون توحيدهما.

3-التجريد أو الربط: بمعنى تجريد الفكرة من الأفكار التي تلازمها وتكون مماثلة لهما لاشتراكهما في نفس النوع.

وعندما يكون العقل واعياً لوظيفته بصورة صحيحة، ينتج أفكاراً تقابل العالم الخارجي بصورة صحيحة[7] ، فالأفكار البسيطة أو مركبة هي أساس المعرفة والوعي وهي إدراك التوافق والتنافر بين الأفكار،

---

[1] احمد ناظم داود، مصدر سبق ذكره، ص319.

[2] John Lock, Op.Cit., P.102.

[3] Ibid., p.p.103 -107.

[4] فردريك كوبلستون، **تاريخ الفلسفة**، ترجمة: محمود سيد احمد، مج5، ط1، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2003)، ص111.

[5] المصدر نفسه، ص 112-113.

[6] John Lock, Op.,Cit., P.147.

[7] وليم كلي رايت، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ترجمة: محمود سيد أحمد، ط1، (بيروت: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2010)، ص 162-163.

إذ ينتج العقل الإنساني وبوعي تام وبإرادة ذاتية للأفراد باختيار الأشياء الخارجية وفق ما يتناسب مع عقله واختياراته بصورة صحيحة دون إكراه أو عنف، فللوعي والمعرفة والعقل دور إيجابي وواضح عند لوك في اختيار وتكوين الأشياء بما يتناسب ومصالح الأفراد من ضمنها الدولة، أذن لم يقم المجتمع المدني والدولة عنده على الإكراه والقوة وإنّما على التعاقد الاختياري الواعي والرضا بين الأفراد لإحساسهم بالحاجة إلى الحماية المتبادلة لما يملكون من أملاك وحرية وحياة[1].

رابعاً: العقل والوعي الذاتي للأفراد في حالة الطبيعة ودوره في تأسيس الدولة:

يؤكّد لوك بأن حالة الإنسان الأولى الطبيعية كانت مثالية، يسودها السلام والطمأنينة وروح المحبة والوئام والسعادة، والإنسان أخلاقي بطبعه ومرتبط بالأخرين وكل فرد متميز ومتساوي أخلاقياً مع غيره من الأفراد بغض النظر عن الفروق الظاهرية التي تشمل القوة الطبيعية لإمكانياته المادية[2].

نظرة لوك للطبيعة البشرية متفائلة، فهي حالة حرية مطلقة ومساواة تامة يحكمها القانون الطبيعي الذي وهب الإنسان حقوقاً ثلاثة هي حق الحياة أو المحافظة عليها، وحق الحرية الذي تساوى الجميع في التمتع به، لكن هذه الحرية لا تعني مطلقة لكل شيء فالإنسان يتمتع بحرية التصرف بشخصه وممتلكاته ولكن لا يتمتع بحرية القضاء على حياته وعلى حياة المخلوقات كلها[3] ، وحق الملكية الذي منح كلّ إنسان الحق الكامل في ملكيته الخاصة التي يعمل فيها بحرية، ويضيف إليها وينميها بجهده وعمله من حيث هي ملك خاص له وإن الفرد له حقوق وواجبات، فلا يحق لأحد أن يؤذي أو يحرم الآخرَ من حقِهُ أو ممتلكاته[4].

على الرغم من ما تقدمه حالة الطبيعة من مميزات للأفراد إلاَّ أنها في نفس الوقت خالية من التنظيم والسلطة العامة، فحق الملكية والمحافظة عليها أصبحت صعبة في حالة الطبيعة، إذ طمع الأخرين في أملاك البعض والاعتداء على الجوار وانتشار الشعور بالظلم والغيرة إلى أن ساد شعور الكراهية بين الناس، تحولت حالة الطبيعة من سلام وحبّ إلى خوف وكراهية، وكان السبب الرئيسي هو ظهور العملة التي أدتّ إلى ظهور الفوارق الطبقية، وبلغت هذه الحالة بالإنسان إلى التخلي عن الخصال التي يحملها في الحالة الطبيعية، فبدأ البحث عن حالة اجتماعية بوعي تام لتكوين مجتمع سياسي أو مدني[5]، واعتبّر لوك

---

[1] احمد ناظم داود، مصدر سبق ذكره، ص316.

[2] موسى إبراهيم، **معالم الفكر السياسي في العصر الحديث والمعاصر**، د ط، (بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1994)، ص107.

[3] علي عبود المحمداوي، **الفلسفة السياسية: كشف لما هو كائن وخوض في ما ينبغي للعيش معا**، ط1، (بغداد: دار ومكتبة عدنان، 2015)، ص139.

[4] راوية عبد المنعم عباس، مصدر سبق ذكره، ص106-107.

[5] المصدر السابق ، ص108.

الملكية في حالة الطبيعة غير آمنة بسبب (غياب قانون معمول به وغياب قاض محايد وغياب السلطة لتنفيذ القوانين)[1]، وهكذا شعر الأفراد بوجود نقص سببه في عدم وجود هيئة خاصة أو جهة معينة تستطيع حل المنازعات التي تحدث بين الأفراد[2]، فعمل الأفراد على إيجاد هيئة خاصة بوعي وإرادة ذاتية تامة على حلّ المنازعات، إذ تنازل الأفراد عن سلطاتهم التي كان يتمتعون بها في حالة الطبيعة إلى السلطة التشريعية التي تسنُّ القوانين للخير العام؛ من أجل تدعيم هذه القوانين والعقاب الدقيق لمن يخالفها فتقييد حرية حالة الطبيعة؛ لكي يتمتعوا بحريات أكثر أمناً[3].

لقيام مجتمع سياسي (دولة)، يجب أن يسند إلى سلطة موحدة للمحافظة على الملكية ومعاقبة مَنْ يتعدى عليها في المجتمع، ولإقامة مجتمع سياسي يجب أن يتنازل كل فرد عن حق إنزال العقاب للجماعة، وهو الحق الذي ظل فردياً إلى أن تأسست الدول باتفاق جمعي وهنا يخرجون الناس من طور الطبيعة إلى طور الدولة؛ لذلك قرر الأفراد وبشكل طوعي وواعي للدخول في عقد لإنشاء مجتمع مدني(دولة)، هدفه إقامة السلطة المنظمة التي تتولى رعاية شؤونهم الطبيعية وحماية حقوق الإنسان ورعايتها، فالغاية من إبرام العقد الحصول على حياة أفضل[4] .

بما أن إقامة الدولة تكون من خلال إرادة الأفراد الذاتية الواعية وبمحض إرادتهم فلا يمكن لأي سلطة تقييد حرياتهم التي كانوا يتمتعون بها في حالة الطبيعة إلاَّ السلطة الناتجة من إراداتهم، فالدولة أو السلطة لا تقوم إلاَّ بموافقة الإنسان نفسه فبإقامة الدولة أو المجتمعات السّياسيّة ستتحقّق حريّة الأفراد في حدود السّلطة التّشريعية الّتي يقيمها النّاس باختيارهم الواعي، فقانون الطبيعة الذي كان سائداً يربط العقل بالوعي الّذي يفرض على الإنسان طرقاً للتّعامل مع الأخرين، فكان عيش النّاس معاً وفق العقل الإنساني الذي كان هو الحاكم في إدارة شأن الطور الطبيعي، لكن إنزال العقاب وفق هذا القانون مباح لكل فرد؛ بسبب عدم وجود سلطة تحمي الأبرياء وتعاقب المعتدي، فالفرد في هذه الحالة سيكون ممثلا للسلطة التنفيذية في نفسه وعليها، أي: يكون هو الحكم والخصم في نفس القضية، فكل هذا جعل حالة الطبيعة مهددة بالاضطراب والحرب[5]، أي: دون سيّد أعلى، ودون سلطة تقضي بينهم، إذ لا يحتاجون إلى شرطة ولا إلى محاكم تطبّق القانون،

---

(1) Manzoor Elahi Laskar, **Summary of Social Contract Theory by Hobbes, Locke and Rousseau**,(New Delhi: press LL.M Symbiosis Law School, without),p. 3.

(2) محمد عبد الباري، **الحرية والدولة**، ط1،(القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1926)، ص69.

(3) فردريك كوبلستون، مصدر سبق ذكره، ص177-178.

(4) علي عبود المحمداوي، الفلسفة السياسية: كشف لما هو كائن وخوض في ما ينبغي للعيش معا، مصدر سبق ذكره، ص142.

(5) برتراند رسل، مصدر سبق ذكره، ص203.

لأنّهم يطيعون دائماً العقل الواعي، الّذي هو مماثل للقانون الطّبيعي[1]، الّذي بدوره يتألّف من (الحق في بقاء الإنسان على قيد الحياة، وواجب الحفاظ على المشاركين في الانتماء إلى الجنس البشري)[2] .

العقل الواعي هو ذلك القانون الذي يلتزم به ويستشيره الجنس البشري كله؛ لكونهم متساوين ومستقلين، فلا ينبغي لأحد أن يؤذي الآخر في حياته وفي صحته وفي حريته أو ممتلكاته لأننا جميعاً ملك الله[3]، قانون يسُنه العقل البشري عندما يتأمل الله وحقوقه ويتأمل علاقة الإنسان بالله ويتأمل المساواة بين الناس من حيث هم مخلوقات عاقلة[4].

أمَّا سلطة الدولة فليست مطلقة على حياة الأفراد وأموالهم[5]، ولا يمكن إكراه أي إنسان للخضوع لسلطة إنسان آخر دون رضاه، وهذا ناتج عن الاتفاق مع الأخرين، بل يبقون أحراراً كما في الطور الطبيعي ما داموا لا يسيئون لحرية الأخرين، وعندما تجتمع إرادات الناس الذاتية الواعية على تأليف مثل هذه الحكومة، يصبحون هيئة سياسية واحدة، يكون حق التصرف والزام الأخرين بالأكثرية أو الأغلبية، أي لا يكون الرأي لفرد واحد كما في الحكم المطلق، بل عن طريق المشاركة والرضى والقبول ؛ لأن إقصاء رأي الأكثرية يستحيل لتحقيق عمل جماعة الهيئة السياسية[6] .

الغاية من العقد الاجتماعي الذي قام بصورة إرادية ذاتية واعية برضى المحكومين، هو من أجل حماية ممتلكات الأفراد من أي خطر داخلي أو خارجي، وتكوين مجتمع سياسي، يقوده طرفين هما الشعب والملك أو الحكومة، لا يصبح العقد لاغياً إلاَّ أذا أخل أي طرف منهما بالتعاقد، فيشترك الناس جميعا في هذا العقد ولا توجد إرادة خاصة، والذي يوجه هذا المجتمع هو إرادة أغلبية الأفراد [7].

أمَّا الأسس التي اعتمدها لوك عند قيام العقد فتقوم على: (أن يتأسس العقد على الحرية الكاملة للأفراد، ولا يوجد إجبار على أداء الأفراد ما لا يريدون، ويتنازل الفرد عن بعض الحقوق وليس كلها (كحق العقاب)، ويكون التنازل للمجتمع وليس لأفراد معينين)، أمَّا الحكومة فيجب عليها أن تعمل وفق(قانون سليم خالي من التعسف، ينطبق على الجميع دون استثناء، والتزام السلطة بوظيفتها كمنظمة وليست كمالكة، ولا يحقّ للسلطة التشريعية أن تتنازل عن أداء وظيفتها دون موافقة الشعب)، فالرضى الذاتي والواعي للأفراد هو

---

(1) المصدر نفسه، ص200.

(2) اندرياس فيرايكه واخرون، **اطلس العلوم السياسة**، ترجمة: سامي أبو يحي، ط1،(بيروت: المكتبة الشرقية،2012)، ص49.

(3) جون لوك، **في الحكم المدني**، ترجمة: ماجد فخري، د ط، (بيروت: اللجنة الدولية للترجمة، 1959)، ص 140.

(4) فردريك كوبلستون، مصدر سبق ذكره، ص173.

(5) جورج سباين، **تطور الفكر السياسي**، ترجمة: راشد البرواي، ج3، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب، بلا)، ص72

(6) علي عبود المحمداوي، الفلسفة السياسية: كشف لما هو كائن وخوض في ما ينبغي للعيش معا، مصدر سبق ذكره، ص142.

(7) راوية عبد المنعم عباس، مصدر سبق ذكره، ص109.

الأساس الذي يقوم عليه العقد وهو وحده المُنشِئ للجماعة السياسية المدعم لسلطانها السياسي، فالمجتمع السياسي والحكومة يرتكزان على أساس عقلي وإرادة ذاتية واعية[1].

فان مبرر لوك في وجود الدولة ان الأنسان حسب لوك له حقوق وحريات تمثل جوهر الذات يجب حمايتها والمحافظة عليها، وان تلك الحقوق والحريات تدخل اطارها الاجتماعي، لذا يتوجب حمايتها من المخاطر التي قد تتعرض لها في حال عدم وجود سلطة تنظم اعمال افراد المجتمع[2]، فالإنسان حسب لوك هو كائن عاقل واعي، والحرية لا يمكن أن تُفصَل عن السعادة، غاية السياسة عنده هي البحث عن السعادة الموجودة في السلم، والأمان والانسجام، هكذا فلا وجود لسعادة دون ضمانات سياسية ولا سياسة إذا لم تهدف إلى نشر سعادة عقلانية، أمَّا الغاية الحقيقة للدولة عنده فهي ضمان حماية الحرية والملكية الخاصة، وما يرفضه أن تملك الدولة سلطة كبيرة وغير محدودة على أفرادها؛ لأنها تشكل خطراً على سيادة الشعب والملك على حد سواء، غاية لوك ترسيخ سيادة الفرد الواعي[3].

خامساً: عمل سلطات الدولة في ظل إدارة ناشئة عن وعي ذاتي للأفراد:

نظام الدولة عند لوك له دور ثانوي، فالحاسم في الأمر هو أنَّ الحكم السياسي يتأسس على موافقة الأغلبية، وأنه يمارس وفق سلطة قانونية مستندة إلى أحكام ثابتة للعمل من أجل الصالح العام، وأكَّد على عدم تركيز السلطة لدى جهة بحدِّ ذاتها، وذلك من خلال توزيع الوظائف الأساسية للدولة على أجهزتها المستقلة عن بعضها والمتداخلة معاً في نفس الوقت والمتسمة بالترتيب الهرمي:

1- الهيئة التشريعية: بوصفها السلطة العليا في الدولة، وكل السلطات الأخرى لابد أن تستمد منها وتكون تابعة لها[4]، وهي أهم جهاز في الدولة وتتمثل هذه الهيئة من مجلسين أحدهما مجلس النواب ينتخبهم الشعب، والآخر مجلس يشكَّلهُ النبلاء ويتساوى المجلسان في القيام بمهمة التشريع[5] .

2- الهيئة التنفيذية(الحكومة): التي تخضع بدورها للهيئة التشريعية وتكون تحت تصرف الملك الذي لا يعد مفعول القانون ساري إلا بموافقته، وتتبع إلى الجهاز التنفيذي سلطة فدرالية (للسياسة الخارجية، تحالفات، معاهدات وغيرها) وآخرى استثنائية (متماهية مع نوع قوانين الطوارئ)، وينطبق مثل هذا النموذج على

---

[1] بشار مالك سليمان، مصدر سبق ذكره، ص61.

[2] هشام محمد الشمري، جون لوك من الحرية والتسامح الى تقريظ التسامح والحقوق الطبيعية، **مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد، العدد202، (بغداد: 2012) ص315-316.

[3] Jean touchard, **histoire des idees political**, 7 edition,(Paris: Presses Universitaires de France, 1983), P.375.

[4] فردريك كوبلستون ، مصدر سبق ذكره، ص181-182.

[5] اندرياس فيرايكه واخرون، مصدر سبق ذكره، ص49.

السلطة القضائية (سلك العدالة)، التي يتم استيعابها من خلال محاكم مستقلة، أمَّا الكلمة النهائية فهي دائما للشعب فهو الذي يمنح السلطات وبوسعهِ أن يستعيدها في حالة خيانة الثقة[1] .

أمَّا عمل السلطة التشريعية لكل مجتمع في كل صور الحكومة فيجب أن تعمل وفقا للاتي[2]:

أولها: لا بد أن تحكم السلطة التشريعية عن طريق قوانين معلنة رسمياً تكون واحدة بالنسبة للجميع وليس على أساس مراسيم.

ثانيها: توضع هذه القوانين من أجل خير الناس.

ثالثها: لا تحكم دون رضا الناس وضد مصالحهم؛ لأن الهدف الرئيسي الذي تكون من أجله المجتمع هو وجود الملكية وحمايتها.

رابعها: ليست مخولة لنقل سلطة سنّ القوانين إلى أي شخص أو إلى مجموعة لم يعهد اليها الشعب هذه السلطة.

يؤكد لوك بأن عملية نقل السلطات قد قام على علاقة ائتمانية بين المجتمع والحكومة، فالسلطة السياسية يتم التفويض بنقلها إلى أيادٍ امينة وعلى أساس الثقة ومن الممكن التراجع عن نقل السلطة السياسية ونزعها في حالة الإخلال بالثقة وخيانتها من أحد الطرفين مما يستدعي في تلك الحالة استخدام حقَّ الإعفاء أو بالأحرى حق المقاومة[3] ، ويستتبع هذا التصور ثلاثة أمور هامة[4]:

1- حق الأغلبية أو الأكثرية هو مصدر السلطة التشريعية والتنفيذية، فيجب أن تخضع إرادة الأقلية لإرادة الأغلبية.

2- تقييد السلطة التنفيذية (الملك) بالقانون النابع من الحقوق الطبيعية، والالتزام بالعقد الاجتماعي.

3- إخلال الملك أو الحكومة بالمسؤولية وتعديه لحدوده المخولة له من جهة الشعب، يستوجب عزله واختيار من يحلّ محله في الحكم.

سلطة الدولة القائمة على إرادات الأفراد الذاتية الواعيةُ تمكنّ في وضع القوانين التي تلزم الجميع بالخضوع لها، ومعاقبة من ينتهك القوانين بعقوبة الموت، ولا تستخدم سلطتها إلا في سبيل الصالح العام، وسنّ القوانين من أجل تنظيم وحفظ الملكية وتوظيف قوة المجتمع في تنفيذ تلك القوانين والدفاع عن المجتمع ضد الاعتداء الأجنبي وما كل هذا إلاّ من أجل الصالح العالم[5] .

---

[1] المصدر السابق ، ص49.

[2] فردريك كوبلستون، مصدر سبق ذكره، ص181-182.

[3] اندرياس فيرايكه واخرون، مصدر سبق ذكره، ص49.

[4] راوية عبد المنعم عباس، مصدر سبق ذكره، ص109-110.

[5] ستيفن ديلو، **التفكير السياسي والنظرية السياسية**، ترجمة: ربيع وهبة، ط1، (القاهرة: منتدى مكتبة الاسكندرية، بلا)، ص195.

أيدّ لوك الحكومة الدستورية المقيّدة بالقانون، فقد أكَّد على قيام السلطة في الدولة على رضى وإرادة المحكومين الواعية، بقدر ما تتيح للشعب أن يمارس حقوقه وحرياته، وفي الوقت نفسه قد ساعدت أفكاره على إزاله القدسية التي أضفاها فكر العصور الوسطى على الدولة بعد ما أتضح أن الإنسان هو الذي شارك وبوعي في نشوئها، وهكذا أصبحت السلطة في الدولة اقرب إلى البشر والأرض منه إلى السماء، فمن خلال أفكاره يؤكّد لوك على الدور الأكبر للمجتمع، فيجعل الكلمة العليا للشعب الواعي، الذي كان يرفض السيادة المطلقة للحاكم أو الملك وكان يريد للشعب أن يمُسِك بمقاليد الأمور لذلك فقد ظلت الحقوق الطبيعية للأفراد (حق الحياة والحرية والملكية) هي مصدر القوة والسيادة في المجتمع المدني كما كانت في حالة الطبيعة، وهذا يعني أن الشعب هو المصدر الأساسي ومن ثم فإنَّ له مطلق الحرية في اختيار مَنْ يشاء أن يوليّه السلطة ويعزله[1].

يتضح مما سبق أن الوعي الذاتي والمعرفة عند لوك تكتسب بالتجربة من خلال الحواس والتأمل أو التفكير، فالعقل عنده صفحة بيضاء خاوية ولا توجد فيها أفكار فطرية ولكن في نفس الوقت يؤكد على وجود قوة فطرية في العقل وليست أفكار يمكن أن تحول الأفكار البسيطة إلى مركبة منتجة؛ لأن الأفكار تنتج بالعقل من خلال وعيها ومعرفتها والتأمل بها، وبما أن التجربة تملئ العقل بواسطة حواس الإنسان لإدراكه للأشياء الخارجية من خلالها يبدأ العقل بصورة سلبية باستقبال هذه الانطباعات الخارجية في العقل وتأملها بصورة أفكار بسيطة، وبعد أن يعيها العقل ويتأمل بها ويركبّها ينتج أفكاراً واعية مركبة من الأفكار البسيطة، وتكون عندئذ هذه الأفكار مطابقة للحقيقة الخارجية الموضوعية مع الحقيقة الذاتية والواعية للأفراد، ومتماشية مع القانون الطبيعي وتعمل على تحقيق المساواة والعدل والحرية والملكية وغيرها كما صورها لوك في حالة الطبيعة كما سبق.

لكن عند غياب سلطة قانونية لإنزال العقاب بالمعتدي يكون هناك طمع مع مرور الوقت وحدوث اختلال في حالة الطبيعة، فعمل الأفراد على إنشاء مجتمع مدني وسلطة سياسية أو دولة وفق إراداتهم الخاصة الذاتية والواعية دون إكراه أو إجبار، فنشأة الدولة هي نتيجة لمجموع إرادات الأفراد الذاتية الواعية من أجل تحقيق مصالح المجتمع بصورة عامة، وبعد قيام الدولة التي حددها لوك وقيّدها بعدة قيود من أجل المحافظة على حرية وملكية الأفراد وعدم الاعتداء عليها وفق شروط منها تبعية السلطات للسلطة التشريعية وخضوع السلطة التشريعية لبنود العقد أو إرادة الأغلبية أو إرادة الشعب الذي يمكنه أن يغّير النظام القائم وفق الإرادة الذاتية متى ما أخلَّت السلطات ببنود العقد أو فقدان الثقة بها.

[1] راوية عبد المنعم عباس، مصدر سبق ذكره، ص109-110.

ووفقًا للوك، فإن السلطة السياسية هي القوة الطبيعية لكل رجل يتم وضعها في أيدي هيئة معينة، ويعتقد لوك أن تشكيل الحكومة أقل أهمية بكثير من هذا "الاتفاق" الاجتماعي والسياسي الأصلي؛ لأن الحكومة موجودة فقط من أجل رفاهية المجتمع، وإن تحديد الدور المناسب للحكومة سيسمح للبشر بالازدهار كأفراد وكمجتمعات ماديًا وروحيًا؛ لأن الله أعطى الإنسان القدرة على التفكير، فالحرية التي توفرها الحكومة المنفذة بشكل صحيح للبشر ترقى إلى تحقيق الغرض الإلهي للبشرية، والنظام الأخلاقي للقانون الطبيعي دائم وذاتي الاستدامة، والحكومات ليست سوى عوامل تساهم في هذا النظام الأخلاقي.

يرى الباحث بإن لوك قد قلل بعض الشيء من دور الذهن في إيجاد المعرفة والوعي الذاتي، إذ اقتصر بعض الشيء على عملية اكتساب المعرفة والوعي من خلال التجربة، واقتصر اكتسابها على الإدراك الفكري التجريدي داخل الذهن فقط، ولكن في غياب هذا الإدراك للموجودات الخارجية فلا وجود لعالم خارجي، فما يدركه العقل موجود وما لا يدركه غير موجود، وهذا الفهم خاطئ عند لوك، ولا يمكن اقتصار اكتساب وعي المعرفة على التجربة فقط، إذ توجد طرق أخرى لاكتسابها، فالمعرفة والوعي المكتسب من خلال العقل لا يحتاج بالضرورة إلى خبرة وتجربه لإثباتها، فمثلا المعرفة الرياضية والمعرفة الهندسية وحتى الدينية غالبا لا تحتاج إلى الخبرة والتجربة لاكتسابها، وبما إنَّ اكتساب المعارف عن طريق الحواس لم يبين مدى صحة ما تمدنا به الحواس، أي: هل كل ما تمدَّنا به الحواس هو صحيح أم زائف؟ إذ لا يمكن التصديق أو الاعتماد على كلّ ما تمدنا به الحواس، ففي بعض الأحيان يمكن للحواس أن تخطئ في إدراكها للشيء فمثلاً رؤية السراب أو لون البحر الأزرق أو عندما نضع مسطره في كوب ماء نراها عن طريق حاسة النظر مكسورة ولكن في الواقع هي عكس ذلك.

أمَّا بخصوص إنكاره لأي أفكار فطرية موجودة في الإنسان، والعقل صفحة بيضاء فهو من جهةٍ أخرى يتحدث عن وجود قانون طبيعي يوجود بالعقل من خلال تأمل القانون الإلهي الذي أودعه الله في بني البشر، ألم يكن هذا القانون الإلهي عبارة عن أفكار فطرية موجودة في عقل الأفراد؟، يذكر من جانب آخر أن حالة الطبيعة هي حالة مساواة وحرية وسلام قائمة على وفق قوانين الطبيعة والعقل، وبما أن القانون الطبيعي موجود لكل الأفراد فلماذا تحدث نزاعات وطمع وخوف بين الأفراد يجعلهم يضطرون للتنازل عن بعض حقوقهم للسلطة التشريعية؟، وبما أن العقد يُعدّ لاغياً إذا أخلَّ أحد الأطراف ببنوده وتم تغيير الملك على أساس ذلك رغم تمسك الملك ببنود العقد، وكان يعمل على وفقه، ولكن جاء الأخلال بالعقد من الشعب السؤال: ما ذنب الحاكم لكي يغير؟ أعطى لوك دوراً كبيراً للشعب على حساب سلطة الملوك لكي يقوض سلطته التي كانت سائدة في القرون الوسطى، وبذلك أضعف دور الملك وقوى دور الشعب.

المطلب الثاني: الوعي الذاتي عند ايمانوئيل كانط

سنتناول في هذا المطلب الوعي الذاتي عند كانط ومراحل تطوره، وكيفية اكتسابه للوصول إلى الوعي التام الذي يقوم بتشريع قوانين نابعة من الوعي الذاتي للأفراد والخضوع لها من خلال إقامة نظام سياسي (دولة)، للانتقال من حالة الطبيعة التي يشوبها العنف والخوف جراء رغبات الإنسان الشهوانية للسيطرة على الأخرين وتعاظم الملكية، إلى حالُة أكثر مدنية وقانونية من أجل تحقيق حريات الأفراد، وفق المراحل الآتية:

أولاً: مراحل تطور الوعي الذاتي واكتسابه عند كانط:

يتكون الوعي الذاتي والمعرفة عند كانط بدايةً من الحدس وتتجه إلى التصورات وتنتهي بأفكار، من خلال ثلاث وظائف للفكر البشري يمارسها في عملية تكوين الوعي والمعرفة، تبدأ بالحساسية أو الإحساسات أو الحدس من خلال مفهومين الزمان والمكان اللذان يعدان وسيلة إدراك الموضوعات الخارجية بواسطة الحواس، إذ تظهر الأشياء متنوعة ومُشتتة وغير مترابطة، إذ يقوم العقل بتنظيمها وترتيبها مكانياً مثلاً هذه الأشياء فوق هذه الأشياء، وزمانياً مثلاً هذه الأشياء قبل هذه الأشياء، ثم إلى الفهم الذي يُعدّ وظيفة فكرية تربط الإحساسات بواسطة المقولات (التي تعد مبادئ تنظيمية تبيّن القاعدة التي تأتي منها الأشياء إلى العالم وتشترك مع الزمن والمكان في الطابع العقلي والقبلي السابق على كل تجربة)، لتصل إلى التصورات، ثم إلى العقل وهو القوة الإدراكية أو ملكة الأفكار التي تتعامل مع أفكار (العالم والله)، بِعَدّها أشياءً متعالية على العقل البشري، إذ عَمِل كانط على الربط بين النزعة العقلانية التي تتعامل مع التصورات والمبادئ القبلية، والنزعة التجريبية في تعاملها مع المحسوس[1] ، وسوف نوضح هذه الأفكار والمفاهيم بشكل أكثر تفصيلاً.

يبين كانط ثلاثة مراحل للوعي وموضوعاته من جهة، ومستويات نشاط الذات وفاعليتها من جهة أخرى، وهي على النحو الآتي:

المرحلة الأولى: مرحلة الإدراك المتعالية (القدرة الحدسية): تقبل هذه المرحلة الحدس الحسي، فتستقبل صورتين قبليتين هما: المكان الذي يكون خاص بالحواس الظاهرة، فلا نستطيع أن نتصور شيئاً دون أن نتصور بعداً مكانياً أو غير موجود وبالتالي فإنَّ المكان يجب أن يكون قبلياً لإدراكاتنا الحسية، والزمان الخاص بالحواس الباطنة، يمثل الديمومة والتتابع للأشياء، وهذا يعني أن تصوراتنا تجد تراتبيتها داخله[2]،

---

[1] عماري خيرة، "الإنسان في فلسفة كانط"، **رسالة ماجستير(غير منشورة)**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر، الجزائر، 2006، ص39.

[2] بيتر كونزمان واخرون، مصدر سبق ذكره، ص137.

فالأشياء تنظم وفق هاتين الصورتين، ويُعدّ الحس مصدراً مهماً من مصادر الوعي والمعرفة، وقبلية سلبية تتأثر بما يَرِد من الخارج[1] .

كل موضوع خارج الذات في المكان وكل ما هو داخلها موجود في الزمان، فطبيعة الزمان والمكان تكشف الطابع العقلي ويجعلهما سابقين على كل معرفة حسية أو تجريبية، فهما البنية الأساسية للعقل، وبهما نبلغ الظواهر المعطاة مباشرة [2] .

إذ يتلقى الذات في هذه المرحلة المعطيات الحسية للظواهر الخارجية بواسطة الحواس، إذ تقوم الذات في استقبال ما تنقله إلينا الحواس من إحساسات (الصوت، اللون، الرائحة، وغيرها)، إذ تعمل الذات على تنظيم هذه الإحساسات عن طريق صورتي المكان والزمان، اللتان اعتبرهما صورتين ذاتيتين ينتميان إلى طبيعة الذهن ذاته، فلا يمكن أن نستمدهما من الخارج عن طريق التجربة، (فالمكان والزمان) تصوران ذاتيان داخليان دورهما تنظيم الحدوس الحسية التي تستلمها من الخارج، فيكون الوعي هنا غير منظم ولا يمتلك أية معرفة، وعي مستلقي سلبي ولا يمتلك صلة بُهويَّة الذات، فلا تؤدي الذات أي نشاط إيجابي مشتت[3] .

المرحلة الثانية: مرحلة التحليل المتعالية: يهتم بتحليل العناصر والشروط القبلية التي يضعها العقل لتمكين إدراكاتنا الحسية، ويسميها أيضاً الوعي أو العقل الفعال الذي يصدر تصورات قبلية أو مقولات وظيفتها فهم الموضوعات التي يعرضها الحسّ عليه؛ لكي يضم الأجزاء إلى بعضها البعض، فبواسطة القدرة الحسية والوعي أو العقل الفعّال أن ندرك الأشياء المادية إدراكاً حسياً وأن يكون العالم موضوع معرفتنا العلمية والتجريبية، إذ يبدأ الوعي بتكوين التصورات، وتقوم الذات بعملية تحديد الشروط القبلية لمعرفتنا بالموضوعات بواسطة الفهم[4] .

الحدوس الحسية المتلقاة وفقاً لصورتي الزمان والمكان تخضع لعمليات التفكير التي يقوم بها الفهم، إذ تملك قدرة التوليد الذاتي للتصورات وإدراك الأشياء المادية[5] ، والتي يعبر عنها بالمقولات التي تكون قبلية وكلية وتنتمي بشكل كامل إلى ذهننا، وبتطبيق هذه المقولات على الحدوس الحسية تتجمع في وعي واحد (وعينا)، فتحصل لدينا معرفة بالموضوعات تسمى التجربة[6]، فالحدوس والفهم عنصرين مهمين للمعرفة،

---

[1] مونيس بخضرة، **تاريخ تطور الوعي: مقاربات فلسفية حول جدلية ارتقاء الوعي بالواقع**، ط1 ،(بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، بلا)، ص185-186.

[2] عماري خيرة ، مصدر سبق ذكره، ص41.

[3] أميل بوترو، **فلسفة كانط**، ترجمة : عثمان أمين، د ط، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972)، ص ص59 ـ 62 .

[4] مونيس بخضرة، مصدر سبق ذكره، ص ص186، 190.

[5] عمانوئيل كنط، **نقد العقل المحض**، ترجمة: موسى وهبه، د ط، (بيروت: مركز الانماء القومي، بلا)، ص75.

[6] المصدر نفسه ، ص45 .

وبدون حدوس لا يمكن أن ندرك الموضوعات، ومن دون فهم لا يمكن أن نفكر بشيء[1] ، يبدأ تكوين الوعي والمعرفة مَنْ الحدوس الحسية، ثم إلى الإحساسات التي تجمعها وتنظمها وفقاً لصور الزمان والمكان، ثم إلى الفهم أو الفاهمة التي تنسق التصورات تحت تصور واحد مشترك عن طريق الحكم عليها[2] ، وعملية تأليف التصورات تتطلب وعياً يوحِّدها ويقيم الصلة بين التصورات والموضوع للوصول إلى مصداقيتها الموضوعية والحصول على المعرفة أو الوعي التام[3] .

الوعي المشتت يرافق كل حدس، ولكنه ضعيف وغير قادر على أن يتحكم في هذه الحدوس ويوحدها؛ لأنه لا تكون له صلة تربطه بهوية الذات ويتغير باستمرار بتغير الحدوس، أمَّا الوعي بالذات فهو الذي يبقى ثابتاً بدون تغيير ؛ لأنه يوحد بين التصورات كلها ويكون في نفس الوقت واعٍ لهذا التوحيد، ويظل كما هو وعيٌ بهوية ثابتة لا تتغير هي هوية الذات، والوحدة المتعالية للوعي الذاتي هي إرجاع كل التصورات إلى الوحدة [4] .

المرحلة الثالثة: مرحلة الجدل المتعالية: ويسميها أيضاً العقل الخالص وهو التفكير في حقائق الأشياء الذي تصدر عنه بعض الأفكار التي نعتقد بصدقها[5] ، إذ تقوم الذات بتنظيم الأفكار بوعي واحد من خلال العقل، والوعي هنا يصبح متعالٍ لموضوع أفكاره ويسميها كانط بـ (المُثل)، فالمُثل: هي مفاهيم عقلية لا ترتبط بالتجربة ولا بالمشاعر ، هي الكمال الذي لا يمكن إدراكهُ في الواقع، هي شيء متعالي لا يمكن الوصول إليه لا بالعقل ولا بالتجربة، أي: شيء خارج حدود العقل مثل فكرتنا عن وجود الله وخلود النفس[6] .

العقل الخالص يستخدم تصوراته الفطرية القبلية ومقولاته بدون أي تجربة حسية، فيقع في التناقض، الذي أطلق عليه كانط الجدل؛ لأنه تفكير لا يقدم أي معرفة لكننا مجبرين عليه بسبب رغبتنا في أن نجمع الكل في وحدة شاملة، أي: نقوم بالاستدلال لمفاهيم عقلية محضة[7] ، فالمُثل هو شيء حقيقي يستحيل علينا معرفته؛ لأنها لا تتعلق بحدس حسي أبداً، والمعرفة الوحيدة التي نمتلكها هي معرفتها ظاهرياً[8] .

---

[1] المصدر نفسه، ص75.

[2] زكريا إبراهيم، **كانت أو الفلسفة النقدية**، ط2، (القاهرة: مطبعة مصر ، 1972)، ص61 .

[3] المصدر نفسه ، ص102 .

[4] عمانوئيل كنط، مصدر سبق ذكره، ص101.

[5] مونيس بخضرة، مصدر سبق ذكره، ص 190.

[6] I. Kant , **Critique of pure Reason** , (London: Macmillan , 1950) , P. 297 .

[7] وليم كلي رايت، مصدر سبق ذكره، ص272 .

[8] أميل بوترو، مصدر سبق ذكره، ص160.

هذا هو تطور الوعي في مرحلة العقل، الذي يتم عندما يتجاوز الذهن عالم الظواهر ويحاول تطبيق المقولات على الأشياء في ذاتها، فيقع في المتناقضات ويتيه في عالم التأمل، ونرى من خلال المراحل السابقة أن الإحساسات والعقل والفهم نشاطات مهمة للذات، والوعي يتطور وفق المراحل الثلاث إلى مستوى الذات العارفة التي تنتقل تلقائياً من عالم المعطيات الحسية إلى المبادئ القبلية.

المتعالي هو كل تصور لا يعثر فيه على أي شيء ينتمي إلى الإحساس، أي أنهّ تصورٌ قبلي في العقل، أمَّا خطوات ومراحل تطور الوعي الإنساني والذي ألزم العقل فيه هو تعيين الحدود المشروعة لاستخداماته؛ لمعرفة مدى سلطته على نفسه وعلى الأشياء الخارجية، ولتحقيق هذا الهدف " ينبغي عليه أن يقيس قدرته الخاصة، وذلك بمختلف الطرق المتبعة لانتقاء موضوعات التفكير ، وأن يستعرض بشكل شامل مختلف طرق طرح المشكلات على نفسه" [1]، أما أسلم طريق لحل المشكلات ومنها مشكلة المعرفة التي رأى أنها لا تتم عن طريق العقل وحده، ولا عن طريق الحس وحده، بل بهما معاً[2] .

إذ عمل كانط على تحليل العلاقة بين الذات والموضوع، مؤكداً على الذات باعتبارها حالة إيجابية تؤثر في ما تدركه، وتؤدي دوراً في معرفتنا للعالم، أي: كل ما يقع خارج الذات أو مستقل عنها يصعب علينا معرفته، إذ لا توجد معرفة للموضوعات بدون وجود الذات، أي: بدون (الأنا أفكر) إذ يقول :" يجب أن يكون من الممكن أن يواكب (الأنا أفكر) جميع تصوراتي، إذ من دون ذلك سيكون ثمة شيء ، مُتصور فيَّ لا يمكنه أنْ يُفكَّر البتة" [3] ، وهذا التصور هو بدون نشاط الذات حتى وإن نظرنا على شيء ما، فلا يمكن أن نستطيع معرفته عندما نراه مرة ثانية .

ما يدركه الذات أو العقل فهو مدرك، وما لا يدركه فهو غير موجود، فالأنا أو الذات لا توجدان يقينياً، إلاَّ بفضل اعتراف ذاتي من قبل الإنسان حين يقول (أنا موجود)، أي أن تصور الذات يصل إليه بدون تفكير، فهو قبلي، أي: قبل التجربة وبنفس الوقت تنطبق تصوراته عليها، فهو كلي وواحد بالنسبة لنا جميعاً ويسميه كانط بـ(الوحدة المتعالية للوعي الذاتي) ، فالوعي الذاتي تصور ذهني تتم معرفته بصورة تلقائية[4] ، وعندما أعي ذاتي كموجود ذو كتلة معينة وحجم معين، سينتج إلى الوجود موضوعات أخرى مختلفة عني أستطيع من خلالها أن أميز نفسي وأشعر بوجودي، وعند معرفتي بوجود الموضوعات الخارجية، يجب أن يبدأ نشاط الذات وفاعليتها، إذ لا يمكنني أن أكون واعياً بهذه المواضيع بصورة تلقائية على غرار وعيي بذاتي، فهو

---

[1] عمانوئيل كنط، مصدر سبق ذكره، ص385 .

[2] زكي نجيب محمود، **نظرية المعرفة**، د ط، (القاهرة: دار المعارف، 1956)، ص74 .

[3] عمانوئيل كنط، مصدر سبق ذكره، ص100 .

[4] I. Kant, Op., Cit., p. 252 .

صورة الوعي الناتج عن التأليف بين المتعدد، وهو وعي محض مقابل الوعي التجريبي المرتبط بالإحساسات[1].

بهذا الصدد فالأنا هي التي تفكر؛ لأنه إدراك واع فلا يمكن تطبيق تصوراتنا أو تمثيلاتنا على الموضوعات دون أن تكون الأنا مصاحبة لها[2] ، فهي وعي مقترن بوجود (أنا أفكر) بكل تجربة، وعن طريقه يعرف الأنا المفكر ذاته بوصفه فعَّالاً خلال سلسلة تجاربه، فالوعي الذاتي هو الأساس النهائي لوحدة الذات، ووعي يبقى بهوية ثابتة يعي ذاته[3] .

عمل كانط على جمع الإحساس والعقل، بالوعي التجريبي المكتسب من الإحساسات والتجارب والوعي المتعالي، فمعرفة الأشياء تعتمد على ما يحتويه العقل من بديهيات وصلت اليه عن طريق التجربة، وبعضها يعرفها العقل بطبيعته، وعمل على التوليف بينهما من خلال وعي المرء لنفسه كموضوع، و تشكّل الإحساسات والتجارب الحسية بواسطة العقل لتكون وحدة فكرية تعرف بالنزعة المتعالية[4] .

إذ يؤُكد كانط أن جميع التصورات الداخلية، متأتية من المعنى الخارجي الموجود مكانيًا ومن أسباب داخلية، سواء نشأت ذاتيا مسبقًا، أو أن المظاهر لها أصل تجريبي، وتنتمي جميعها للحس الداخلي، وتعمل الذات على إدراك التصورات الداخلية خارجيا، أي: تصبح التصورات الداخلية موضوعات واقعية، فالإدراك وسيلة للوعي بالذات [5] .

إذ يختلف الذات الكامن في داخل الانسان عن الذات المرتبط بالطبيعة، لان الاخير يكون خارج عن المألوف للإنسان، حيث ان صورة الزمان والمكان او ما يطلق عليها (الزمكان) تقتصر على الرؤية العقلية للإنسان، ففي حال عدم وجود تجربة سابقة لا يمكن تحديد معالم الرؤية المبهمة، وهنا الذات الطبيعية تتمثل في الأحداث التي ساعدت في تكوين الطبيعة واثرت في تكوينها، تخلق فلسفة مادية لها تكون أكثر تعقيد وصعب الوصول لنتائجها[6].

---

[1] عمانوئيل كانط، مصدر سبق ذكره، ص100.

[2] مارتن هايدغر، **السؤال عن الشيء**، ترجمة: اسماعيل المصدق، ط1،(بيروت: المنظمة العربية للترجمة،2012)، ص205-206.

[3] هربرت ماركيوز، **العقل والثورة**، ترجمة: فؤاد زكريا, ط 2،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،1979)، ص46.

[4] مونيس بخضرة، مصدر سبق ذكره، ص185-186.

[5] Brook Andrew and Wuerth Julian, **Kant's View of the Mind and Consciousness of Self**,(London: The Stanford Encyclopedia of Philosophy, 2020),p. 13-14.

[6] محمد هاتو عزيز، سلطة أنظمة المعرفة بين أخلاقيات الكتابة ونظام الخطاب في الفكر البنيوي، **مجلة الآداب**، كلية الاداب، جامعة بغداد، مج، 3، العدد142، (بغداد: 2022)، ص244.

يؤدي الإدراك إلى الوعي، وعي ما نفعله – نفعل، فالطريقة التي يصبح بها المرء مدركًا لفعل التمثيل ليس من خلال تلقي الحدس ولكن من خلال القيام: بالتركيب، كفعل واعٍ لذاته، يمكننا أن ندرك أنفسنا كذات بمجرد القيام بأعمال التمثيل، فالإنسان الذي يعرف الطبيعة فقط من خلال الحواس، يعرف نفسه من خلال الإدراك الخالص في الواقع، من خلال الأفعال والقرارات الداخلية التي تتخذها الذات الواعية، فالحالات التمثيلية للفرد هي أساس وعي الذات كموضوع ، أي: أن وعي الذات بالمعنى الداخلي يمكن أن يجعل المرء يدرك نفسه كموضوع، عندما يكون المرء واعيًا لنفسه وحالاته من خلال القيام بأعمال توليفية معرفية وإدراكية، يكون المرء واعيًا لنفسه على أنه عفوي وعقلاني وذاتي التشريع وحُرّ – باعتباره فاعلًا للأفعال [1].

ثانياً: دور الوعي الذاتي في تشريع القوانين:

يؤُكدّ كانط أن معرفه الفرد للموضوع يتعرف من خلاله على ذاته، ويعي نفسه كلياً، فاذا كان كل شيء في الطبيعة يعمل وفقاً لقوانين، فإنَّ الإنسان لديه القدرة على الفعل وفقاً لفكرة عن القوانين اعتماداً على العقل، فالواجب هو أمر مطلق الذي يقرر أن الفعل ضروري فيتعامل مع الآخرين كغايات وليس كوسائل ولا يتغير حسب الظروف، فهو يركّز على إرادة الفاعل الأخلاقية من جهة، وعقلي صارم في أداء الفعل احتراماً للقوانين التي يفرضها العقل، فالواجب يلزم إرادة الإنسان وتصرفه لأخذ القوانين الأخلاقية القائمة على العقل بعين الاعتبار، ولقد أفرد كانط للواجب ثلاث قواعد [2] :

1- **قاعدة التعميم:** يكون عملك أو اختيارك كأنما تختار للناس جميعاً أو أن يكون اختيارك قانوناً يخدم جميع الناس، قانونا تتخذه إرادتنا قاعدة كلية فيقبله كل عقل وكل إنسان.
2- **قاعدة الغائية:** أن يتعامل الفرد مع الآخرين كغايات تعتبر الإنسانية ماثلة في نفسك وفي الآخرين ذات قيمة إنسانية، لا كوسيلة للاستعمال أو كأرضاء لرغبة.
3- **قاعدة الاستقلال الذاتي:** كل فرد مستقل استقلالاً ذاتياً، والعمل على جعل إرادته العاقلة مشروعة ومُنفذة بين أشخاص عقلاء أحرار.

فالوعي الذاتي الفاعل مشرعاً ومستقلاً بذاته ولا يكون منفذاً لقانون وضعه غيره وألزمه به، بل ينفذ إرادته العاقلة؛ لأن القانون الأخلاقي صادر عن العقل والإرادة الحرة للشخص [3] ، أمَّا مصدر الواجب وتأثيره على سلوك البشر؟ فيتكون من خلال علاقة الواجب بالحرية: إذ لا يمكن تحقيق الواجب إلاَّ من خلال الحرية وهو دليل وجودها، فإذا كان للإنسان واجب فان لهُ القدرة والحرية على أدائه، وعلاقة الواجب بالاحترام:

---

[1] Brook Andrew and Wuerth Julian,Op., Cit., p.15.

[2] فردريك كوبلستون، مصدر سبق ذكره، ص ص434-436.

[3] ستيفن ديلو، مصدر سبق ذكره، ص246-247.

فعندما نعمل الواجب نستحق الاحترام، فإذا كان العمل ذا طبيعة عقلية فإنه ينعكس على الإنسان في سلوكه وفي شعورة، فيبدوا الاحترام انعكاساً للواجب على العاطفة فنندفع إلى القيام به ونحن نحمل له في داخلنا تقديراً، مما يدفعنا للقيام بها أكثر، إنه العلاقة التي تربطنا بالقانون الأخلاقي[1] .

سيطرة الواجب هي سيطرة العقل في ميدان الفعل وهو الضرورة التي تدفعنا للقيام بالفعل لاحترام القانون والعقل والإنسانية، وهذا الاحترام يولد الإكراه وشعوره بقاعدة مسيطرة أعلى تبعد كل رغباتنا الحسية من جهة، والميل والوعي بمشاركة إرادتنا في القيمة المطلقة لهذه القاعدة من جهة أخرى، فالقاعدة الأخلاقية تعبر عن استقلال العقل والحرية، وهذا الاستقلال والانسجام مع القانون، وطاعة القانون الطبيعي بحرية واختيار، فالعمل الذي يقوم به الأفراد سيكون مطابقاً للقانون[2] ، وعدم قدرة الميل والخوف على إعطاء الفعل قيمة أخلاقية، بل الاحترام والواجب في حق القانون هو وحده الدافع لإعطاء هذه القيمة[3] .

ولكي يصبح القانون كلياً يجب تطبيق مبدأ (أفعل)، وهذه صيغة القانون الخلقي، قانون العقل، فالإنسان يهب نفسه للمجتمع وفي نفس الوقت لايخضع إلاَّ لذاته، وبما أن سلطة الواجب هي سلطة العقل فاحترام العقل هو احترام الإنسانية، وبما أن عقلنا يأمر ويعطي القوانين فنحن لا نطيع إلاَّ إراداتنا العاقلة، ولا نخضع لأي قانون خارج إراداتنا، فعملية إنشاء القوانين عند كانط ناتجة من إرادات الوعي الذاتي للأفراد وبما أن القوانين هي الأساس الذي تقوم عليه الدولة، فالدولة عنده ناتجة من إرادات الأفراد الواعية، فالإرادة الإنسانية الواعية وحريته هي المشرعة للقانون الأخلاقي وهي المنفذة له في نفس الوقت[4].

فالالتزام هو إتاحة الحرية للأفراد لاستخدام عقلهم ووعيهم للتعبير عن شخصهم، فالأحرار يسعون للتحرر من جميع العناصر التي تعترض قدرته على تجاوز العوائق التي تعترض تفكيره، ولتجاوز هذه العوائق اتحدوا في المجتمع المدني، لأن المجتمع المدني يُؤمِّن لكل فرد الحقوق الأساسية المطلوبة للانضمام إلى عالم مستنير[5] ، فالالتزام ضرباً من الوعي الذي يدفع الإنسان نحو الفعل بمقتضى قيمتها، وتسمح له بالتواصل الاجتماعي تحت راية دستور سياسي أساسهُ السلام في كنف نطاق الدولة، فحرية الإرادة الإنسانية الواعية هي الإرادة المشرعة الكلية للقانون والدولة[6] .

---

[1] عماري خيرة ، مصدر سبق ذكره، ص51-52.

[2] محمد الهلالي وعزيز لزرق، **الحرية**، ط1، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2009)، ص55.

[3] قاسم صاحب عبد الحسين، **القيم الأخلاقية في الفلسفة الغربية المعاصرة**، ط1،(بيروت: دار ومكتبة البصائر،2015)ص 101-103.

[4] فردريك كوبلستون، مصدر سبق ذكره، ص432-433.

[5] ستيفن ديلو، مصدر سبق ذكره، ص245.

[6] زهير المدنيني، **المدنية الكونية في فلسفة كانط: سياسة المعمورة**، ط1،(صفاقس: مكتبة علاء الدين، 2011)، ص35-36.

إذ يُقسِّم كانط القانون، إلى قانون طبيعيّ يقوم على مبادئ قَبليّة، وقانون وضعي يكون صادرا عن المُشرعِّين، فالأول هو قبل التّنظيم السّياسيّ والأخير بعده، والعلاقات القانونيّة تكون موجودة بين الأفراد داخل مجتمع طبيعيّ، بوصفهم كائنات حرة أو بعلاقات الأفراد النّاشئة عن تأسيس الجماعة السّياسيّة في مجتمع مدنيّ، وبذلك فإنَّ الحق الفطريّ هو الحرية، وبالمقدار الذي يُمِكّننا من أنْ نعيش مع الآخرين، ويشتمل هذا الحق على المساواة الفطريّة وأنْ يكون الفرد ملزماً عن طريق غيره، بما يلزم الآخرين تجاهه، فلا وجود للظلم قبل صدور أي مرسوم قانونيّ [1] .

ثالثاً: الوعي الذاتي في حالة الطبيعة ودورة في قيام الدولة:

يُقر كانط بأن الطبيعة الإنسانية تضم بذور الخير والشر، ففي الإنسان ميل إلى الشر واستعداداً للخير، فهو لا يعد الإنسان شريراً بطبعه وإنما بمواقف خاطئة فيه، فالشر في الطبيعة الإنسانية ليس الإقرار بالشر ولكنه مرتبط بعدة أسباب يمكن القضاء عليها، كفساد القلب عندما نجعل القانون الأخلاقي في المرتبة الثانية، وضعف الإرادة، وارتباط الفعل بدوافع ليست من أجل الواجب، فالميل للشر يقابلهُ استعداد للخير يدفع الإنسان إلى الواجب وهو يتحمل كل الآلام من أجل خلاص العالم، فالإرادة الطيبة خير مطلق يوجه سلوكنا حتى وإنَّ كان ذلك ضد مصالحنا، فتغليب الخير على الشر كاستعداد أصيل في الإنسان يقوم على ثلاث مراحل، المرحلة الأولى: الاستعداد الحيواني الذي يسعى للمحافظة على النفس والاستمرار من خلال الغذاء والتكاثر، أمَّا الثاني: فهو الوجود الإنساني المستنير بالعقل الذي تصبح حياته متمدنة ومتحضرة، والأخير: يُبرز خصائص الإنسان كذات حرة جديرة بالاحترام والمسؤولية[2].

لكن بسبب تزايد الرغبات والشهوات الفردية للسيطرة وتغليب أهواء الشخص تولد حالة من الخوف والحرب، إذ لكل شخص الحق في تفسير حقوقه بطريقته المناسبة، ولا يحق لأحد أن يجبر الأفراد على التصرف وفقاً للقانون، فلا يوجد قاضٍ محايد يمكنه الفصل بين الخصومات فالجميع قاض فيما يتعلق بشؤونهم الخاصة، مما يؤدي إلى صراعات فيما بينهم[3] ، إذ يسنّ الأفراد قوانينهم بأنفسهم، ولا يخضعون لأحد، ويرى كانط أنَّ حالة الطّبيعة سابقة على التّنظيم السّياسيّ، بل هي حالة أقرب ما تكون إلى حالة الحرب[4] ، حالة تتصف بعدم الاستقرار والعدوان، الأمر الذي دفع الإنسان إلى التفكير في تغييرها لضمان

---

[1] علي عبود مالك المحمداوي، مثاليات التّعاقد وأثرها في الفلسفة المعاصرة: في قدرة الأطر الأخلاقيّة على تحقيق السّلم والتّعايش، **مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية**، كلية الآداب، جامعة واسط، العدد34، (بغداد:2019)، ص271.

[2] عماري خيرة ، مصدر سبق ذكره، ص93-94.

[3] ديفيد بوز، **مفاهيم الليبرتارية ورواداها: الحقوق الفردية**، ترجمة: صلاح عبد الحق، ط1، (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 2008)، ص60.

[4] علي عبود مالك المحمداوي، مصدر سبق ذكره، ص270.

الأمن والاستقرار ، فالإنسان بطبيعته لديه أهواء فردية وميول غريزية تجعله في تعارض مستمر ، والرغبة في السيطرة من أجل السيادة ومن أجل الارتقاء إلى واقع أفضل ينسجم مع طموحاته نحو التقدم، وعقد الأفراد أتفاقاً على العيش المشترك في مجتمع مدني أكثر سلام وطمأنينة[1]، عبر ايجاد هوية مشتركة لكل الاطراف، ويقول ديكارت ان أساس هوية الانسان في المجتمع هو نفسه، بمعنى كيف يرى الاخرين يمكن ان يرى نفسه، فلا يمكن وجود نظام مجتمعي يسوده السلم والامن الا من خلال مجتمع يؤمن بالفكر والتفكير السليم او يشجع عليه على اقل تقدير ، إذ يعد التفكير المنطلق الحقيق نحو تحقيق نظام قانوني صارم يعزز وجود الدولة[2].

فالعقد يؤسس دستور ودولة بطريقة قانونية، من خلال تحالف إرادات كل أفراد الشعب لتكوين إرادة عامة مشتركة لغرض وضع تشريعات عادلة، فكل القوانين تصا غ بإرادة مشتركة لشعب كامل، وكل فرد بقدر ما يستطيع الادعاء بمواطنته قد أبدى موافقته ضمن الإرادة العامة[3] .

فالإرادة العامة الناشئة عن طريق عقد اجتماعي هي صاحبة السيادة، والتي تنشأ من خلالها الدولة، إذ توكل سلطات الأفراد إلى حكومة تمثيلية شرعية وقانونية، فيتنازل كل الأفراد عن حرياتهم الخارجية في حالة الطبيعة ليستعيضوا عنها بحقوق قانونية في دولة ذات تنظيم حقوقي، وسياسي وأخلاقي، وعلى ذلك فالسيادة للشعب[4] .

يرى كانط أن الدولة هي اتحاد بين العديد من البشر بموجب قوانين الحق، أي: دولة اجتماعيَّة مدنية تنظم بوساطة قوانين الحق الضرورية، وتتأسس وفق المبادئ العقلانيّة الآتية [5]:

1- **مبدأ الحرية:** أن كل فرد في المجتمع يتمتع بحرية يسعى لتحقيقها والوصول إلى سعادته بالطريقة التي يجدها ملائمة له وليس ما يريده الآخرين، شرط أن لا يتعدى على حرية الآخرين وتحقيقها يكون على وفق أطار قانون عملي عام.

---

[1] زهير المدنيني، مصدر سبق ذكره، ص98.

[2] سجى فتاح زيدان، مفهوم الهوية في الفكر السياسي الغربي، **مجلة العلوم السياسية**، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد62، (بغداد:2019)، ص486.

[3] ديفيد بوز ، مصدر سبق ذكره، ص67-68.

[4] علي عبود المحمداوي، **فكر الحداثة وتحولات اصل السلطة وشرعيتها في مدخليات واصول الفلسفة السياسية المعاصرة في الفلسفة السياسية المعاصرة من الشموليات الى السرديات الصغرى**،ط1،(بيروت: دار الروافد الثقافية-ناشرون،2012)، ص ص35-37.

[5] ديفيد بوز ، مصدر سبق ذكره، ص ص61- 64.

2- **مبدأ المساواة:** جميع الأفراد متساوون فيما بينهم بوصفهم موضوعاً للقوانين ونِدًّا للآخرين ورعايا، وجميع الأفراد في الدولة خاضعين لحق الإكراه ما عدا رأس الدولة وحدهُ؛ لأنه ليس فرداً من أفراد الدولة بل موجدها وراعيها، وهو الوحيد المخول فرض الاكراه على الاخرين.

3- **مبدأ الاعتماد الذّاتيّ (الاستقلال):** استقلال كل فرد في الدولة بعدَه مواطناً، يعتمد على نفسه، ويكون التعامل فيما بين الأفراد مَنْ منطلق الحرية والمساواة.

4- **الشّخصيّة المدنيّة- القانونيّة:** الأُمور التي تتعلق بالحق لا يجوز أنْ ينوب فيها عن الفرد أي أحد غيره.

تعمل السّياسة على جمع الإرادات العامة من أجل ميثاق قانونيّ، وترسم حدود الحق بين النّاس، وتضمن تحقيق فكرة الحق والقانون في نظام الدولة، وفقاً لمعاني صيانة الحرية والمساواة والواجب الأخلاقي الذي يفترض وجود قوانين تخرجه من وضعه الأصليّ[1] .

ولذلك يقرر كانط وصايا قانونية تكون منطلقات للفعل الإنسانيّ وأُصولاً للتّعايش السّلمي بين الأفراد والجماعات وهي[2]:

1- **كُنْ أميناً:** الأمانة القانونيّة أنْ يؤكد الإنسان قيمته بالفعّل مع الآخرين، على أن يتعامل الأفراد فيما بينهم كغايات.

2- **لا تُضرِر بالغير:** فعدم الاضرار بأحد حتى لو أدى إلى الانفصال عن كل العلاقات مع الآخرين.

3- في نفس الوقت **مشاركة الآخرين** الاجتماع مع الاحتفاظ بالمعتقدات والهويات.

قسَّم كانط حالة الطبيعة إلى حالتي (الطبيعة القانونيّة والطبيعة الأخلاقيّة)، يقابلهما (حالة المدنيّة القانونيّة والحالة المدنيّة الأخلاقيّة)، فالحالة (المدنيّة الأخلاقيّة): التي يوجد فيها الأفراد تحت قوانين خالية من الإكراه، أي: قوانين الفضيلة، أمَّا (المدنيّة القانونيّة): فهي قائمة على علاقة البشر فيما بينهم، يوجدون على نحو جماعيّ تحت أحكام قانونيّة مشرعنة، فالحالة (المدنية القانونية والأخلاقية) تقتضي وجود قوانين قسريّة، وتبقى الأفعال الأخلاقيّة حرة حتى داخل التّنظيم السّياسيّ، ولكن المشكلة التي تؤدي إلى عدم الالتزام القانوني في حالة الطبيعة القانونية والأخلاقية ومخالفتها مما يستدعي الانتقال إلى الحالة المدنية القانونية

---

[1] علي عبود مالك المحمداوي، مثاليات التّعاقد وأثرها في الفلسفة المعاصرة: في قدرة الأطر الأخلاقيّة على تحقيق السّلم والتّعايش، مصدر سبق ذكره، ص271.

[2] أسماء احمد بركريسة وامينة طوافرية، "مفهوم الدولة في الفكر السياسي عند كانط"، **رسالة ماجستير (غير منشورة)**، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة الجيلاني بوتعامة، الجزائر، 2016، ص 29-30.

وبالرغم من إدراك ضرورة القانون، ولكن من أجل اشباع شهواته، يستثني ذاته من الخضوع للقانون، مما يولدّ حالة من الرعب والحرب تتطلب الحاجة إلى الاجتماع والتّعايش[1] .

يميز كانط بين ثلاث سلطات في الدولة تعبر عن الإرادة الموحَّدة العامة للشعب: فالسلطة السيادية تتجسد في شخص المشرّع، والسلطة التنفيذية في شخص الحاكم، والسلطة القضائية في شخص القاضي، ويؤكد كانط على تعاون السلطات فيما بينهم، وأهم السلطات في الدولة هي السلطة التشريعية، التي تمنح من قبل الإرادة الموحدة للشعب وهذه السلطة هي مصدر جميع الحقوق والقوانين (العامة)، فحكم الدولة أكثر استقراراً لأن كل فرد يصدر قوانينه الخاصة، ولا يمكن لأحد أن يعاني من الظلم؛ لأنه بفضل صوته يتمتع كل شخص بتمثيل سياسي، إذ أكّد كانط على نظام الجمهورية التمثيلية: التي تعد نظاماً يمثل الشعب، من أجل حماية حقوقها باسمها، من جانب جميع المواطنين المتحدين من خلال مندوبيهم (النواب)، ولكن بمجرد أن يسمح الشخص الذي يرأس الدولة (سواء كان ملكاً أو نبلاء أو كل السكان) بتمثيل نفسه أيضاً، فإن الشعب الموحد هو صاحب السيادة نفسه[2] .

الشكل العقلي للدولة والنظام المفضل عند كانط هو الحكم الجمهوري، ويبقى ثابتاً مهما تعاقب الأشخاص، ووجود قانون دستوري عام يحكم جميع الأفراد وفي مختلف الاوقات ومنظم لعمل الحكومة، ويتميز النظام الجمهوري بالفصل بين السلطات والتمثيل النيابي، وغاية الحكومة الفريدة المتوافقة مع العدالة هي خير الجماعة[3] .

لتحقيق الخير الأخلاقيّ للأفراد يتطلب أتحاداً واعياً فيما بينهم من أجل الغاية ذاتها؛ لإقامة جمهوريّة كليّة وفق قوانين الفضيلة وتأسيس دولة تهتم بالشّأن العام لتحقيق مصلحة مشتركة في إطار قانونيّ [4] .

يتضح مما سبق أنَّ عملية اكتساب الوعي الذاتي عند كانط تكونت من خلال محاولته للجمع بين العقلانيين والتجريبيين، إذ عمل على ربط التجربة بالعقل من خلال وجود مقولات وتصورات وشروط ذاتية قبلية سابقة على التجربة موجودة في العقل يمكن تسميتها بالأفكار الفطرية موجوده في العقل الخالص، وأخرى متأتية من الحواس باصطدامها بالأشياء الخارجية، وحدوث عمليات تلقائية للعقل يحدث خلالها تحويل الإحساسات المبعثرة التي تتلقاها الذات من الموضوعات الخارجية إلى وعي بهذه الموضوعات، إذ يعمل العقل على معالجتها وفق صورتان الزمان والمكان من خلال الفهم بواسطة تطبيق الشروط الذاتية القبلية على موضوعات التجربة بواسطة التركيب والتأليف بين التصورات المتعددة وجمعها في تصور واحد للوصول

---

[1] علي عبود مالك المحمداوي، مثاليات التّعاقد وأثرها في الفلسفة المعاصرة، مصدر سبق ذكره، ص271.

[2] ستيفن ديلو، مصدر سبق ذكره، ص251.

[3] علي عبود المحمداوي، الفلسفة السياسية: كشف لما هو كائن وخوض في ما ينبغي للعيش معا، مصدر سبق ذكره، ص163.

[4] المصدر نفسه ، ص272.

إلى الوعي الذاتي الذي يستطيع من خلاله الأفراد أن يعوا أنفسهم من خلال وعيهم للموضوعات التي تدركها الذات، فالوعي الذاتي عند كانط عملية تحدث بأكملها داخل الذات على مادة تأتي من الخارج هي المعطيات الحسية للظواهر ، التي تشكل المادة الخارجية للأشياء في ذاتها، فأن صورتي المكان والزمان ومقولات الفهم هي تصورات ذاتية موجودة في العقل بصورة قبلية، ثم أخذ يطبقها على ما أعتبره ظاهراً للأشياء.

كل ما يدركه الذات بوعي فهو موجود وما لا يدركه فهو غير موجود، وبما إن إدراك الذات لوعيها من خلال الموضوعات عندئذ كل ما يدرك يكون ناتجاً من الإرادات الواعية للفرد، فيعمل الأفراد في حالة الطبيعة وفق قانون العقل الأخلاقي الذي يلتزم فيه الأفراد في حالة الطبيعة ويكون التزامهم به طوعي دون إكراه؛ لأنَّ كل فرد هو قاض لنفسه، ولكن عندما تتغلب الشرور لدى الأفراد والرغبة في تحقيق شهواتهم مما يولد لديهم حالة من العدوان والعنف فيما بينهم لعدم تطبيقهم القانون الأخلاقي، فمن أجل القضاء على العدوان وتحقيق السلام يتحد الأفراد فيما بينهم ويتعاقدون على التنازل عن حرياتهم الخارجة إلى سلطة تمثلهم وتطبق الحدود على الجميع، فيعمل الأفراد وفق العقد على تشريع قانونهم الخاص الذي يخدم مصالحهم من خلال مشرعين يقومون بتشريع قانون وضعي قائم وفقاً لقانون العقل أو القانون الأخلاقي الأول، إذ لا يوجد فيه ظلم وخداع للحقوق، فالقانون الحقيقي ينبع من الذات المتصرفة أخلاقياً وإن الإنسان ينشأ قانونه بنفسه ويخضع له وأنه حر من كل تأثير خارجي، فالواجب الأخلاقي كامن داخل الفرد، عندئذ تنشأ الدولة وفقاً لإرادات الأفراد الذاتية الواعية؛ من أجل تحقيق مصالحهم وحماية حقوقهم وتحقيق السلام لهم مع تأكيدّه على نظام الحكم الجمهوري النيابي وفصل السلطات .

يرى الباحث كون الأفراد وفق القانون الأخلاقي هم المشرعون للقانون وملتزمون به فلماذا يختل هذا القانون في حالة الطبيعة وتغلب عليه الشهوة والرغبة الفردية؟ وبما أن القانون الوضعي هو نتيجة إرادات الأفراد الواعية وتجسيداً للقانون الأخلاقي؟ إن كان الجواب هو عدم وجود سلطة إكراه تُلزم الأفراد بالالتزام بالقانون إنما كان التزام طوعي أخلاقي، وبعد قيام الدولة تمتلك سلطة الإكراه على كل من يخرج عن حدود القانون، فهنا وأن كانت الدولة تُملَك حق العقاب والإكراه على الخارجين عن القانون، لكنها لا تستطيع فرض أخلاق معينة على الأفراد؛ لأنها هي تجسيد لأخلاق الأفراد فلا تملك قوة معيارية للأخلاق تستطيع العمل بها معهم.

أمَّا فيما يخص الغايات فإن كانط يدعو لمعاملة الإنسانية كغاية في حد ذاتها، هذا يتعارض مع اعتبار سعادتنا غاية في حد ذاته، فالشخص الذي يطور مواهبه لا يمكن عَدّ (سعادته) غاية بل تُصبِح كوسيلة، وإذا أهمل الشخص مواهبه لا يعد نفسه غاية.

الخاتمة:

يتضح أن أفكار كل من لوك وكانط في مسألة اكتساب الوعي الذاتي ودوره في إيجاد أو تأسيس الدولة متقاربة بعض الشيء من حيث تكوين هذا الوعي وتأثير الحواس والموضوعات الخارجية على عقل الإنسان، إلاَّ أن لوك اعتبر العقل لوحة بيضاء خالية من أي أفكار أو مبادئ فطرية قبلية موجودة في عقل الإنسان وإنَّ عملية تكوين الوعي هي متأتية بصورة انعكاسية من الخارج فقط والعمل على جمع هذه الأفكار وانتاجها بصورة مركبة من خلال التأليف والجمع والمقارنة مع الأفكار الأخرى المتأتية من الحواس والعمل على طرحها بشكل وعي ذاتي له دور كبير ومهم في اختيار النظام القائم وتحديد شكل الدولة الذي يرسمه الفرد الواعي، ولكن كانط يختلف بعض الشيء عن لوك في هذا الطرح، إذ عدَّ كانط عملية اكتساب الوعي الذاتي متأتية من وجود أفكار قبلية حدسية فطرية موجودة في عقل الإنسان لا تعتمد على التجربة، وأفكار أخرى متأتية من خلال التجربة، أي: من خلال تأثير الفكر على الموضوعات الخارجية وليس بصورة انعكاسية كما كانت عند لوك من خلال تأثير الموضوعات الخارجية على العقل، وعند تأثير الفكر على الموضوعات الخارجية والتعرف عليها سينتقل عن طريق الإحساسات أفكاراً بصورة تلقائية متتالية إلى العقل من خلال إدراكه لها يسميها كانط الوعي التجريبي، فيعمل العقل على التأليف والتركيب فيما بينها وتوحيدها كما عمل العقل عند لوك ويطرحها كوحدة فكرية عقلية كاملة يدرك من خلالها الأفراد ذاتهم ويدركون في الوقت نفسه الموضوعات ويسميها كانط الوعي الذاتي.

أما فيما يخص دور هذا الوعي في تكوين وإنشاء الدولة فهو متقارب عند الاثنين، إذ تكون حالة الطبيعة عندهم حالة حرية ومساواة وسلام، ولكن لا بد أن يحدث فيها خلل واضطراب جراء عدم التزام الأفراد بالقانون العقلي والخلقي الموجود في حالة الطبيعة والعمل على الاتحاد فيما بينهم للتنازل عن بعض حقوقهم عن طريق عقد اجتماعي بين الشعب والحاكم وبشكل طوعي؛ لتأسيس سلطة أو نظام أو دولة يتنازلون لها بسلطاتهم التي كانوا يمتلكونها في حالة الطبيعة من أجل حماية حقوقهم وتحقيق السلام والاستقرار ؛ لأن غياب سلطة تقضي بين المتنازعين في حالة الطبيعة، فكل فرد هو قاض على نفسه فالرغبات والشهوات الفردية هي الأساس الذي ولدّ الخلاف بين الأفراد وجعلهم يفكرون بإنشاء نظام يفرض القوانين التي يشرعها الأفراد وفق إرادتهم الذاتية الواعية، وأن يكون هذا التنازل للسلطة التشريعية التي تكون على رأس الهرم عند كلاهما، وأمن كل من لوك وكانط بالنظام التمثيلي وفصل السلطات.

الدولة عندهم هي نتيجة أو تجسيد لإرادات الأفراد الذاتية الواعية ونابعة بصورة إرادية وطوعية من قبل الأفراد وليس مفروضة عليهم من الأعلى، وكلاهما رفضا نظام الحكم المطلق وأيدا الحكومة المقيدة بالدستور والسيادة للشعب.

وبعدَ متابعة النماذج للوعي الذاتي في العصر الحديث والتعرف على أبرز مَنْ مثَّل هذا الوعي في هذا العصر على الصعيد السياسي، توصلت الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات أهمها:

1- أثرَّت طروحات المفكرين الليبراليين من خلال نموذج الوعي الذاتي في حياة المجتمعات الغربية، وبكافة أبعادها، واستطاعوا هؤلاء المفكرين: أن يجعلوا من هذا الوعي موضوع نقاشٍ حادٍ يسعون إلى تطبيقه، من خلال تأكيدهم على الوعي الذاتي والإرادات الحرة للأفراد وقيام وإنشاء دولة نابعة من إراداتهم الواعية الحرة دون أي ضغط أو إكراه مَنْ الخارج.

2-يتم اكتساب الوعي الذاتي عند لوك من خلال التجربة عن طريق الإحساس والشعور أو التأمل أو التفكير، فالعقل هو لوحة فارغة، لكنه في نفس الوقت يؤكد وجود قوة فطرية متأصلة في العقل يمكنها تحويل الأفكار البسيطة إلى أفكار مركبه ينتج عنها وعي فردي، وتتماشى هذه الأفكار مع القانون الطبيعي وإرادات العقل الواعي وتعمل على تحقيق المساواة والعدالة والحرية والملكية وما إلى ذلك، كما وصفها لوك في الحالة الطبيعية، لكن عدم وجود سلطة قانونية لفرض العقوبة على المعتدي (دولة طبيعية)، يحاول الناس إنشاء مجتمع مدني وسلطة سياسية أو حكومية وفقًا لإرادتهم وعن وعي ودون إكراه لتحقيق مصالح المجتمع بشكل عام، عن طريق التنازل عن بعض حقوقهم بصورة إرادية إلى سلطة تدير أمورهم متجسدة بشخص الدولة.

4- فيما يتعلق باكتساب الوعي الذاتي عند كانط، يتشكل من خلال محاولته الجمع بين العقلانيين والتجريبيين؛ لأنه حاول ربط التجربة بالعقل من خلال وجود المقولات والتصورات الذاتية القبلية التي تكون سابقة على التجربة موجودة في العقل، والذي يَعُدَّها أفكاراً فطرية، وأفكاراً أخرى تأتي من الحواس بتماسها مع الأشياء الخارجية، إذ يعمل العقل تلقائياً على دمجها مع الأفكار الفطرية وتحويلها إلى وعي مدرك للأشياء الخارجية، وبما أن وعي الذات هو إدراكها للأشياء الخارجية، لذا فكل ما يُدرك هو نتيجة إرادة المرء الواعية، فيتصرف الناس وفقًا لقانون العقل الأخلاقي المدرك من قبل الفرد الواعي في الحالة الطبيعية، ولكن عندما يسود الشر بين الناس وتجعل الرغبة في إشباع رغباتهم حالة من العنف بينهم، لذا يتوجب عليهم أن يتحدوا فيما بينهم ويتعاقدوا فيما بينهم ليتنازلوا عن حرياتهم في فرض العقاب إلى سلطة تمثلهم وتفرض قيودًا على الجميع، لذا يتم إنشاء حكومة على أساس الإرادة الواعية للأفراد لتحقيق مصالحهم والحفاظ على حقوقهم وتحقيقها.

Conclusions :

After examining the models of self-consciousness in the modern era and identifying the prominent representatives of this consciousness at the political level, the study has reached several conclusions, including:

1- The propositions of liberal thinkers have had a significant impact on the lives of Western societies, in all their dimensions, and these thinkers have been able to make self-consciousness a subject of intense debate that they seek to apply. They emphasize self-consciousness and the free will of individuals, aiming to establish a state that emerges from their conscious free will, without any external pressure or coercion.

2- Self-consciousness, according to Locke, is acquired through experience by means of sensation, perception, reflection, or contemplation. The mind is a blank slate, but at the same time, it confirms the existence of an innate power rooted in the mind that can transform simple ideas into complex ones, resulting in individual consciousness. These ideas align with natural law and the conscious will of the mind, working towards achieving equality, justice, freedom, property rights, and so on, as described by Locke in the state of nature. However, in the absence of a legal authority to enforce punishment on aggressors (the state of nature), people attempt to establish a civil society and a political or governmental authority according to their will and conscious awareness, without coercion, to achieve the interests of the community as a whole, through willingly relinquishing some of their rights to a governing authority embodied in the state.

3- Regarding the acquisition of self-consciousness according to Kant, it is formed through his attempt to reconcile rationalists and empiricists. He tries to connect experience with the mind through the existence of preconceived self-imaginations and concepts that are already present in the mind, which he considers innate ideas. Other ideas come from the senses through their contact with external objects, and the mind automatically integrates them with innate ideas, transforming them into conscious awareness of external things. Since self-awareness is the perception of external things, everything that is perceived is the result of an individual's conscious will. People act according to the moral law perceived by the conscious individual in the state of nature. However, when evil prevails among people, and the desire to satisfy their desires becomes a state of violence among them, it becomes necessary for them to come together and contract among themselves to relinquish their freedoms in imposing punishment to an authority that represents them and imposes restrictions on everyone. Therefore, a government is established based on the conscious will of individuals to achieve and preserve their interests and rights.

المصادر :

الكتب :

1. زكي، احمد امينز ومحمود، نجيب. **قصة الفلسفة الحديثة**، د.ط، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر, 1936).
2. بوترو، أميل. **فلسفة كانط**، ترجمة : عثمان أمين، د.ط، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972).
3. برهييه، اميل. **تاريخ الفلسفة**، ترجمة جورج طرابيشي،ج4، ط2، (بيروت: دار الطليعة،1993).
4. واخرون، اندرياس فيرايكه. **اطلس العلوم السياسة**، ترجمة: سامي أبو يحي، ط1،(بيروت: المكتبة الشرقية،2012).
5. رسل، برتراند. **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ترجمة : محمد فتحي الشنيطي، ج3،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2011).
6. اخرون، بيتر كونزمان. **اطلس الفلسفة**، ترجمة: جورج كتورة، ط2،(بيروت: المكتبة الشرقية،2007).
7. سباين، جورج. **تطور الفكر السياسي**، ترجمة: راشد البرواي، ج3، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب، بلا).
8. لوك، جون. **في الحكم المدني**، ترجمة: ماجد فخري، د.ط، (بيروت: اللجنة الدولية للترجمة، 1959).
9. ري، جوناثان. وارمسون، وج .او. **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، ترجمة: فؤاد كامل واخرون، د.ط، (بغداد: منشورات مكتبة النهضة، 1983).
10. بوز ، ديفيد. **مفاهيم الليبرتارية وروادها : الحقوق الفردية**، ترجمة: صلاح عبد الحق، ط1،(عمان: رياض الريس للكتب والنشر ، 2008).
11. عباس، راوية عبد المنعم. جون لوك ام الفلسفة التجريبية، ط1،(بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1996).
12. إبراهيم، زكريا. **كانت أو الفلسفة النقدية**، ط2، (القاهرة: مطبعة مصر ، 1972).
13. محمود، زكي نجيب. **نظرية المعرفة**، د.ط، (القاهرة: دار المعارف، 1956).
14. المدنيني، زهير. **المدنية الكونية في فلسفة كانط: سياسة المعمورة**، ط1،(صفاقس: مكتبة علاء الدين، 2011).
15. ديلو، ستيفن. **التفكير السياسي والنظرية السياسية**، ترجمة: ربيع وهبة، ط1، (القاهرة: منتدى مكتبة الاسكندرية، بلا).
16. آخرون، عبد الوهاب الكيالي. **موسوعة السياسة**، ج5، ط1،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1974).
17. المحمداوي، علي عبود. **الفلسفة السياسية: كشف لما هو كائن وخوض في ما ينبغي للعيش معا**، ط1، (بغداد: دار ومكتبة عدنان، 2015).
18. _____، **فكر الحداثة وتحولات اصل السلطة وشرعيتها في مدخليات واصول الفلسفة السياسية المعاصرة في الفلسفة السياسية المعاصرة من الشموليات الى السرديات الصغرى**،ط1،(بيروت: دار الروافد الثقافية–ناشرون،2012).
19. كنط، عمانوئيل. **نقد العقل المحض**، ترجمة: موسى وهبه، (بيروت: مركز الانماء القومي، بلا).
20. كوبلستون، فردريك. **تاريخ الفلسفة**، ترجمة: محمود سيد احمد، مج5، ط1، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2003).
21. عبد الحسين، قاسم صاحب. **القيم الأخلاقية في الفلسفة الغربية المعاصرة**، ط1،(بيروت: دار ومكتبة البصائر،2015).
22. هايدغر، مارتن. **السؤال عن الشيء** ، ترجمة: اسماعيل المصدق، ط1،(بيروت: المنظمة العربية للترجمة،2012).
23. الهلالي، محمد. ولزرق، عزيز. **الحرية**، ط1، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2009).
24. الباري، محمد عبد. **الحرية والدولة**، ط1،(القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1926).

25 .إبراهيم، موسى. **معالم الفكر السياسي في العصر الحديث والمعاصر**، د.ط، (بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1994).

26 .بخضرة، مونيس. **تاريخ تطور الوعي: مقاربات فلسفية حول جدلية ارتقاء الوعي بالواقع**، ط1،(بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، بلا).

27 .ماركيوز، هربرت. **العقل والثورة**، ترجمة: فؤاد زكريا, ط 2،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1979).

28 .تومسن، هنري. تومسن، دانا لي. **تراجم حية لاعلام الفلسفة الغربية**، ترجمة: محمد بدران وعثمان نويه، د.ط، (القاهرة: لجنة التاليف والترجمة والنشر، 1955).

29 .رايت، وليم كلي. **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ترجمة: محمود سيد أحمد، ط1، (بيروت: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2010).

البحوث والدراسات :

1. داود، احمد ناظم. نظرية المعرفة عند لوك، **مجلة اداب الفراهيدي**، كلية الاداب، جامعة تكريت، العدد،5 (تكريت: 2010).

2. زيدان، سجى فتاح. مفهوم الهوية في الفكر السياسي الغربي، **مجلة العلوم السياسية**، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد62، (بغداد:2019).

3. عزيز، محمد هاتو. سلطة أنظمة المعرفة بين أخلاقيات الكتابة ونظام الخطاب في الفكر البنيوي، **مجلة الآداب**، كلية الاداب، جامعة بغداد، مج، 3، العدد142، (بغداد: 2022).

4. الشمري، هشام محمد. جون لوك من الحرية والتسامح الى تقريظ التسامح والحقوق الطبيعية، **مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد، العدد202، (بغداد: 2012).

الرسائل والاطاريح :

1. بركريسة، أسماء احمد. وطوافرية، امينة. "مفهوم الدولة في الفكر السياسي عند كانط"، **رسالة ماجستير (غير منشورة)**، جامعة الجيلاني بوتعامة، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة،الجزائر،2016.

2. سليمان، بشار مالك. "فلسفة جون لوك وابعادها التربوية: دراسة وصفية تحليلية"، **رسالة ماجستير (غير منشورة)**، جامعة دمشق، كلية التربية، قسم أصول التربية، دمشق،2015.

3. خيرة ، عماري. "الانسان في فلسفة كانط"، **رسالة ماجستير(غير منشورة)**، جامعة الجزائر ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة،الجزائر، 2006.

English resources :

1. Andrew, Brook. and Julian, Wuerth . **Kant's View of the Mind and Consciousness of Self** , editor : Edward N. Zalta,(London: The Stanford Encyclopedia of Philosophy, 2020).

2. I. Kant , **Critique of pure Reason** , trans: by Norman Kemp smith, (London: Macmillan , 1950).

3. Touchard, Jean. **histoire des idees political**, 7 edition,(Paris: Presses Universitaires de France, 1983).

4. LocK, John. **An Essay Goncering Human Understanding**, (Pennsylvania: prees The State University,1999).

5. Laskar, Manzoor Elahi. **Summary of Social Contract Theory by Hobbes, Locke and Rousseau**,(Pune: press LL.M Symbiosis Law School, without).

6. Uzgalis, William. **Some issues in Locke's Philosophy of Mind,** editor : Edward N. Zalta , (California: The Stanford Encyclopedia of Philosophy , 2018).

resources :

Books:

1. Zaki, Ahmed Amins and Mahmoud, Naguib. The Story of Modern Philosophy, Dr. I, (Cairo: Authorship, Translation and Publishing Committee, 1936).

2. Botro, Emile. Kant's Philosophy, Translated by: Othman Amin, Dr. I, (Cairo: The Egyptian General Book Organization, 1972).

3. Berhier, Emile. History of Philosophy, translated by George Tarabishi, vol. 4, 2nd edition, (Beirut: Dar al-Talee'ah, 1993).

4. et al., Andreas Vereike. Atlas of Political Science, translated by: Sami Abu Yahya, 1st edition, (Beirut: Eastern Library, 2012).

5. Russell, Bertrand. History of Modern Philosophy, Translated by: Muhammad Fathi Al-Shinaiti, Part 3, (Cairo: The Egyptian General Book Organization, 2011).

6. Others, Peter Kunzmann. Atlas of Philosophy, translated by: George Ktoura, 2nd edition, (Beirut: Eastern Library, 2007).

7. Spine, George. The Development of Political Thought, translated by: Rashid Al-Barawi, Part 3, (Cairo: The Egyptian General Authority for Books, No).

8. Locke, John. On Civil Rule, translated by: Majed Fakhry, D.T. (Beirut: The International Committee for Translation, 1959).

9. Ray, Jonathan. Warmson, J.O. The Brief Philosophical Encyclopedia, translated by: Fouad Kamel and others, Dr. I, (Baghdad: Al-Nahda Library Publications, 1983).

10. Boz, David. Concepts of Libertarianism and Its Pioneers: Individual Rights, translated by: Salah Abdel-Haq, 1st Edition, (Amman: Riyad Al-Rayes for Books and Publishing, 2008).

11. Abbas, Narrator Abdel Moneim. John Locke, M. Experimental Philosophy, 1st Edition, (Beirut: Arab Renaissance House for Printing and Publishing, 1996).

12. Ibrahim, Zakaria. Kant or Critical Philosophy, 2nd Edition, (Cairo: Misr Press, 1972).

13. Mahmoud, Zaki Naguib. The Theory of Knowledge, Dr. I, (Cairo: Dar Al-Maarif, 1956).

14. Al-Madani, Zuhair. Cosmic Civilization in Kant's Philosophy: Global Politics, 1st Edition, (Sfax: Aladdin Bookshop, 2011).
15. Delo, Stephen. Political thinking and political theory, translated by: Rabie Wahba, 1st edition, (Cairo: Bibliotheca Alexandrina Forum, no).
16. Others, Abd al-Wahhab al-Kayyali. Encyclopedia of Politics, Part 5, Edition 1, (Beirut: The Arab Institute for Studies and Publishing, 1974).
17. Al-Muhammadawi, Ali Abboud. Political Philosophy: Revelation of what is and delving into what is necessary to live together, 1st edition, (Baghdad: Adnan Library and House, 2015).
18. _____, The thought of modernity and transformations of the origin and legitimacy of power in the introductions and origins of contemporary political philosophy in contemporary political philosophy from totalitarianism to micronarratives, 1st edition, (Beirut: Dar Al Rawafed Al Thaqafaa - Publishers, 2012).
19. Kant, Immanuel. Criticism of pure reason, translated by: Musa Wahba, (Beirut: National Development Center, no).
20. Copleston, Frederick. History of Philosophy, translated by: Mahmoud Sayed Ahmed, vol. 5, 1st edition, (Cairo: Supreme Council of Culture, 2003).
21. Abdul Hussain, Qasim Sahib. Ethical Values in Contemporary Western Philosophy, 1st Edition, (Beirut: Dar and Maktabat Al-Basir, 2015).
22. Heidegger, Martin. The question about the thing, translated by: Ismail Al-Mosaddeq, 1st edition, (Beirut: The Arab Organization for Translation, 2012).
23. Al-Hilali, Muhammad. And for blue, dear. Freedom, 1st Edition, (Casablanca: Toubkal Publishing House, 2009).
24. Al-Bari, Muhammad Abd. Freedom and the State, 1st Edition, (Cairo: Authorship, Translation and Publishing Committee, 1926).
25. Abraham, Moses. Milestones of Political Thought in the Modern and Contemporary Era, Dr. I, (Beirut: Ezz El-Din Foundation for Printing and Publishing, 1994).
26. Bakhdra, Monis. The history of the development of consciousness: philosophical approaches to the dialectic of raising awareness of reality, 1st edition, (Beirut: The Arab House of Science Publishers, No).
27. Marcuse, Herbert. Mind and Revolution, translated by: Fouad Zakaria, 2nd edition, (Beirut: The Arab Institute for Studies and Publishing, 1979).

28. Thompson, Henry. Thompson, Dana Lee. Live Translations of the Signs of Western Philosophy, Translated by: Muhammad Badran and Othman Naweh, Dr. I, (Cairo: Committee for Authorship, Translation and Publishing, 1955).

29. Wright, William Klee. History of Modern Philosophy, translated by: Mahmoud Sayed Ahmed, 1st Edition, (Beirut: Al-Tanweer for Printing, Publishing and Distribution, 2010).

Research and studies:

1. Daoud, Ahmed Nazim. Locke's epistemology, Al-Farahidi Journal of Arts, College of Arts, Tikrit University, Issue 5 (Tikrit: 2010).

2. Zidan, Saja Fattah. The Concept of Identity in Western Political Thought, Journal of Political Science, College of Political Science, University of Baghdad, Issue 62, (Baghdad: 2019).

3. Aziz, Mehmet Hatto. The authority of knowledge systems between the ethics of writing and the system of discourse in structural thought, Journal of Arts, College of Arts, University of Baghdad, vol. 3, No. 142, (Baghdad: 2022).

4. Al-Shammari, Hisham Muhammad. John Locke, From Freedom and Tolerance to Honoring Tolerance and Natural Rights, Al-Ustad Journal for Humanities and Social Sciences, Ibn Rushd College of Education for Human Sciences, University of Baghdad, Issue 202, (Baghdad: 2012).

Messages and treatises:

1. Barkrisa, Asmaa Ahmed. Tawafiriyah, Amina. "The Concept of the State in Kant's Political Thought", Master Thesis (unpublished), Al-Jilani University of Boutaama, Faculty of Social Sciences, Department of Philosophy, Algeria, 2016.

2. Suleiman, Bashar Malik. "John Locke's Philosophy and its Educational Dimensions: A Descriptive Analytical Study", Master Thesis (unpublished), Damascus University, College of Education, Department of Fundamentals of Education, Damascus, 2015.

3. Khaira, Omari. "Man in Kant's Philosophy", Master Thesis (unpublished), University of Algiers, Faculty of Humanities and Social Sciences, Department of Philosophy, Algeria, 2006.